

### مقدمة الناشر

ذكر الله تبارك وتعالى مصر في كتابه العزيز باسمها، وكرّر ذكرها في آيات تنبئ عن أحوال الأنبياء بها، وذكرها نبينا ﷺ فقال - في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه - : «إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقَيْرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا؛ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحْمًا». أَوْ قَالَ: «ذِمَّةٌ وَصَهْرًا..»<sup>(١)</sup>.

وجعل الله منها الأنبياء والعلماء والحكماء والخواص والملوك والعجائب ما لم يجعل من غيرها، وامتن الله عليها بالفتح المبين، وشرّفها بالصحابة والتابعين، فأزال بهم ظلم الكفرة والملحدّين، ونشروا في ربوعها النور المبين: «دعوة خير المرسلين»، فكانت حصنًا حصينًا للإسلام والمسلمين، ومنارةً للحائرين، لا يُنكر هذا منكر، ولا يدفعه

(١) «صحيح مسلم»: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر، (٤/ ١٩٧٠ رقم ٢٥٤٣-٢، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي). قال النووي: «قال العلماء: القيراط جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما، وكان أهل مصر يكثر من استعماله والتكلم به». قال الإمام الزهري في بعض روايات الحديث: «الرحم أن أم إسماعيل منهم». وقال ابن الأثير في (النهاية): «أي أن هاجر أم إسماعيل - عليه السلام - كانت قبيلة من أهل مصر». قال الصديقي في (دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين): «الرحم: أي كون هاجر أم إسماعيل بن إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - من مصر، أعطاه الملك الجبار لسارة امرأة إبراهيم عليه السلام، فأعطتها سارة إبراهيم، فحملت هاجر منه إسماعيل، وأما الصهر: فلكون مارية أم إبراهيم ابن سيدنا - وسيد الخلق أجمعين - رسول الله ﷺ منهم، لأن المقوقس صاحب مصر أرسلها هدية إلى النبي ﷺ». اه باختصار وتصرف.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصْرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

دافعٌ، وكفى بذلك فضلاً وبركةً في الدنيا والدِّينِ .

وقد ارتبطَ اسمُها منذُ بزوغِ فجرِ التاريخِ بالبدلِ والتضحيةِ، وبالنَّصرِ والتمكينِ، وهي شوكةٌ في حلقِ الكفرةِ والفجَّارِ ، واتَّخذَ الفاتحونَ المسلمونَ منها طريقاً ومعبراً ، ومن أهلها أجناداً، وخلفوا فيها أنصاراً وأحفاداً .

وابتلاها اللهُ بالاحتلالِ تترًا، فكانتْ لهم مَطْمَعًا وغرصًا، ولكسرِ هَيْبَةِ الإسلامِ والمسلمينَ معبرًا وهدفًا.

وأشدُّ ما ابتليتْ به (مِصْرُ) في الحقبِ الاحتلاليِّ؛ ما كان من (الفاطميِّين) <sup>(١)</sup>، حيثُ جثموا على صُدورِ المِصْرِيِّينَ ما يقربُ من (ثلاثةِ قرونٍ) ، عمَدوا خلالها إلى نشرِ عقيدةِ الشَّيعةِ الإسماعيليَّةِ بينَ عُمومِ (المِصْرِيِّينَ) الذين كانوا يدينونَ بعقيدةِ (النَّبِيِّ ﷺ)،

(١) تأسستِ الدولةُ الفاطميَّةُ عامَ (٢٩٦هـ) في الشَّمالِ الإفريقيِّ على يدِ رجلٍ يهوديٍّ اسمه (سعيدٌ) كان يعملُ حدادًا، حيثُ دخلَ بلادَ المغربِ وتسمَّى بـ (عبيدِ اللهِ المهديِّ)، وادَّعى أنه شريفٌ علويٌّ فاطميٌّ، وقد راجَ له ما افترأه في تلكِ البلادِ النَّائيةِ عن مواطنِ العلمِ، وقبضةِ الخليفةِ، وأزره جماعةٌ من جهلةِ المسلمينَ والعُبادِ، فنجحَ في القضاءِ على دولةِ الأغلبيةِ، بمعونةِ جُموعِ قبيلةِ كُتَّامةِ البربريَّةِ ، وصارتْ له دولةٌ وصولَّةٌ، وبنى مدينةَ (المَهديَّةِ) بإفريقيَّةِ (تُونِس)، واستولى على مدينةِ (رَقَّادة) سنةَ (٢٩٧هـ)، ومكَّنَ اللهُ له لحكمةٍ يَعلمُها، ثمَّ تتابعَ بعدهُ أبناؤه: (القائمُ) و(المنصورُ) و(المعزُّ) الذي في عهده دخلوا مِصْرَ سنةَ (٣٦١هـ)، وانتقلَ إليها في رمضانَ سنةَ (٣٦٢هـ)، وهو الذي تُنسبُ إليه القاهرةُ، فيقالُ «القاهرةُ المعزيةُ» التي بناها له قائدهُ جوهرُ الصقليُّ، وبنى أيضا (الجامعَ الأزهرَ) ليكونَ محضنًا ومفرحًا لدعاةِ دينهمُ الباطنيِّ. وقد استمرَّ احتلالهمُ للديارِ المِصْرِيَّةِ (٢٨٠) سنةً تقريبا. (انظر: صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ وجهوده في القضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ للصَّلابيِّ: ص ١٤١-١٩٤، بتصرفٍ يسير).

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

وآل بيته، وصحابته ~~ههههه~~، أي عقيدة أهل السنة والجماعة.

وقد نجحوا في ذلك وفق مخططٍ منهجيٍّ لنشر المذهب الرافضي وإفرازاته الخبيثة

من إسماعيلية وباطنية وانحلالية وإباحية ...

إلا أن الله تبارك وتعالى قيض لمصر المجاهد الفاتح الملك الناصر (صلاح الدين الأيوبي) - رحمه الله تعالى وجزاه عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء - ، فاقتلع هذا الورم الخبيث الشيطاني من جسد مصرنا الحبيبة المباركة ، وتمكن بفضل الله تعالى خلال (ثلاثة عشر عامًا) - قضاها في مصر - من القضاء تمامًا على هذا (الدين الشيعي الباطني) الذي لم يعرفه (المصريون) من قبل .

والتأمل للتاريخ يعلم أن تحرير صلاح الدين لمصر من هذه (الديانة الشيعية) ؛ لا يقلُّ أهميَّةً عن تحريره لكثيرٍ من ثغور المسلمين من أيدي الغزاة الصليبيين وفتحِه (بيت المقدس والقُدس) ، بل كانت جهوده في القضاء على (الفاطميين) مُقدِّمةً وانطلاقةً لهذا الفتح المبارك المبين ، لذا فإن (المصريين) يدينون بالفضل - بعد الله تعالى - لهذا القائد الرباني ؛ الذي حفظ الله به البلاد والعباد من شرور أهل الضلال والفساد.

ونحن إذ قمنا على نشر هذه «الرسالة»<sup>(١)</sup> - التي نسأل الله سبحانه تعالى أن يبارك فيها وينفع بها - أردنا من خلالها إيصال رسالة واضحة وصریحة عن أهميَّة (مصر

(١) هذه الرسالة في الأصل رسالة ماجستير ، باسم : «أثر جهود صلاح الدين التربوي في تغيير واقع

المجتمع المصري».

أثرُ جهودِ صلاحِ الدينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

الإسلامِ والعروبةِ) وشعبها المسلمِ في الحفاظِ على هذا (الدينِ العظيمِ) ، وأنها المعقلُ الأولُ والأخيرُ الذي يحاولُ الأعداءُ النَّيلَ مِنَ الإسلامِ من خلاله ، وحوادثُ التاريخِ تشهدُ بذلكِ .

كما نُوِّدُ أن نُؤكِّدَ على أصالةِ ومعدنِ هذا الشعبِ الذي استعصى عبرَ العصورِ والأزمنةِ على العتاةِ والجبابةِ ، فلم تُفلحْ محاولاتهمُ المتكررةُ مِنَ النَّيلِ مِنْ أصلاتهِ الإسلاميَّةِ ، وعقيدتهِ الرَّبانيَّةِ ، وارتباطهِ الوثيقِ بهذا الدينِ ورُسولهِ الكريمِ ﷺ ، وحبِّهِ الصادقِ للصَّحابةِ والتابعينَ ~~حيثُ~~ .

ولا ريبَ أنَّ (صلاحِ الدينِ الأيوبيِّ) شخصيَّةٌ فريدةٌ أحبَّها المسلمونَ جيلاً بعدَ جيلٍ لسيرتهِ العطرةِ، وجهادهِ في سبيلِ اللهِ تعالى ، ومسارعتِهِ في نصرَةِ المسلمينَ، وتحريرِ بلادِهِم ومُقدِّساتِهِم (القدس الشريف سنة ١١٨٧م) ، وحمائيتِهِم مِنَ الأخطارِ الخارجِيَّةِ . وهذا الكتابُ الذي نقدَّمُهُ اليومَ يكشفُ عن جهادٍ من نوعٍ آخرٍ لهذا القائدِ الكبيرِ ألا وهو (الجهادُ التَّربويُّ) ، الذي خاضَهُ ضدَّ الدَّولةِ (العُبَيْديَّةِ الفاطميَّةِ) التي تَنسَبُ إلى المذهبِ الشَّيعيِّ الإسماعيليِّ ، حيثُ تسرَّتْ بالإسلامِ ، واحتلَّتْ البلدَ المسلمَ السُّنِّيَّ (مِصرَ) حيناً مِنَ الزَّمانِ بالقوَّةِ والطَّغيانِ وزعيمِهِم محبَّةَ أهلِ البَيْتِ ، ونشرتْ فيه العقائدَ والخرافاتِ الشَّيعيَّةَ الكُفْريَّةَ والزَّنْدقةَ الإسماعيليَّةَ الباطنيَّةَ .

وقد استطاعَ البطلُ (صلاحُ الدينِ) بجهادهِ التَّربويِّ الثَّقافيِّ الفكريِّ أن يحققَ انتصاراتٍ قد لا تتحقَّقُ بالمعاركِ والقتالِ ، وتمكَّنَ من تغييرِ واقعِ المجتمعِ المصريِّ ، والقضاءِ على (الدَّولةِ العُبَيْديَّةِ الفاطميَّةِ) التي حكمتْ (مِصرَ) قرابةً (ثلاثةِ قرونٍ) ،

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

حيث واجه الفكر بالفكر والتربية بالتربية، وقضى على ما خلفه العبيديون من ضلالات فكرية وتربوية، وأعاد (مصر) كما كانت إلى مذهب أهل السنة؛ تنعم بصفاء العقيدة والمنهج وفق ما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

كما نودُّ التنبية على أننا قمنا بنشر هذه «الرسالة» لأهميتها البالغة، وخاصة في تلك الفترة العصيبة التي تمرُّ بها الأمة، وقد بذلنا جهدنا ووسعنا في خدمتها، فراجعنا نصّها على المصادر والمراجع قدر المستطاع، وأصلحنا ما فيه من أخطاء الطباعة، وضبطناه بحركات الإعراب، وزدنا في أصل الرسالة ومضمونها، وقمنا بفهرستها بتوسّع، وأعدنا تخريج أحاديثها وآثارها والكلام على معانيها اعتماداً على كتاب «مرويات الشيعة في الميزان» لأبي عبد الرحمن الشوكي المصريّ جزاه الله خيراً<sup>(١)</sup>.

وأخيراً نسأل الله - جلّ في علاه - أن يجزي المؤلف وكلّ من شارك في هذا العمل خير الجزاء، ويجعله في ميزان حسناتهم، والله تعالى من وراء القصد، وهو يهدي السبيل وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

### الدار الأزهرية

(١) هذا الكتاب يُعدُّ للطباعة، وهو دراسة نقدية للأحاديث والآثار التي يستشهد بها الشيعة - على صحّة مذهبهم - وإبائها بقواعد الحديث عند الشيعة أنفسهم، وقواعد أهل السنة والجماعة، مع بيان أدلّة بطلانها - أيضاً - من جهة العقل السليم والمآلات.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

---

---

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المِلَّةُ الرِّبَاةُ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا

وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الْأَحْزَاب: ٧٠-٧١] <sup>(١)</sup>.

أَمَّا بَعْدُ؛ يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

(١) هذا النص «إن الحمد... عظيمًا» يُسمى (خطبة الحاجة)، وهي خطبة كان رسولُ الله ﷺ يعلمُها

أصحابه رضي الله عنهم. وقد اعتنى بها وأحيها في عصرنا العلامةُ مُحَمَّدُ ناصرُ الدين الألباني رحمه الله

تعالى، حيثُ أفردها في رسالةٍ خاصّةٍ (عام ١٣٧٢ هـ)، فكانت سببًا في انتشارها في الأقطار، وقد رواها

من الصحابة عبد الله بن مسعود وغيره رضي الله عنهم، فانظر إن شئتُ تخريجها في الرسالة المذكورة.

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

لِاسْتَخْلَفْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الذِّبْكَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيَمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أُمَّتًا يُعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾.

لا ريب إن المحنة ماضية إلى يوم القيامة، وفيها يميز الله الخبيث من الطيب، فكان من قدر الله - جلّ وعلا - أن ابتلى «مصر وأهلها» في (القرن الرابع الهجري)؛ إذ سلط عليهم «الشيعة الفاطمية»<sup>(٢)</sup>، فعاثوا في الأرض فساداً، وتسلطوا على البلاد ورقاب العباد نحو قرنين من الزمان، حتى قضى الله أمراً كان مفعولاً، فأذن الله تعالى بالفرج على يد القائد السني صلاح الدين الأيوبي، فرفع الظلم ونشر العدل، واستطاع أن يربي جيلاً وأمة على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، فالإنسان الذي رباه صلاح

(١) سورة النور، الآية: (٥٥).

(٢) فرقة الشيعة الفاطمية: عرّفها المقرئ في خطبه المسمى بـ«المواعظ والاعتبار ٢/ ١١، ٣٤٨» بقوله: «هي فرقة من غلاة الشيعة، ينسبون أنفسهم إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ولهم شرائع وسنن ومذاهب اشتملت على سبع دعوات يتدرج الإنسان من خلالها حتى ينحلّ عن الأديان كلها - ويرى مؤسسها عبد الله بن ميمون القداح أنه وأهل نحلته؛ على هدى، وجميع من خالفهم؛ ومن أهل الضلالة، وكان يدعو إلى أن الإمامة لصاحب الحق محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ومن خلال هذه الدعوة التي خالف فيها أصول الإمامة الاثني عشرية قامت دعوته وانتشرت في بلاد المغرب على يد إدريس بن عبد الله وأبي عبد الله الشيعي، حتى وقعت تلك البلاد بأيديهم، وبهذا قامت الدولة الشيعية الفاطمية في بلاد المغرب عام (٢٩٧هـ)، وأخذت من وقتها تتطلع لفتح مصر». اهـ بتصرف. انظر: (مصر في عصر الدولة الفاطمية: ص ٤).



أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

الدِّينِ - حينَ استلامه الحُكْمَ سنةَ (٥٦٧هـ) - بالكتابِ على الكتابِ والسُّنَّةِ والعقيدةِ السَّليمةِ طفلاً صغيراً؛ أصبحَ عنده قائداً وجندياً قوياً سنةَ (٥٨٣هـ)، ففتحَ بهم «بيتَ المقدسِ» واستردهُ من أيدي الصَّليبيِّينَ.

والمُتأملُ في الدِّراساتِ المُتعدِّدةِ التي تناولتِ سِيرَ قَادَةِ الأُمَّةِ؛ يجدُ أنَّ منها ما يبحثُ في الجانبِ العسكريِّ، وآخرُ في الجانبِ الإداريِّ، وثالثٌ في الجانبِ الفكريِّ السُّطحيِّ الذي يَعتمدُ إلى سرِّدِ الوقائعِ فقط دونَ تحليلٍ. وأمَّا كتابي هذا فيبحثُ أساساً في الجانبِ التربويِّ وأثره في إحياءِ الأُمَّةِ، وإيجادِ جيلٍ مُربَّى وفقَ الأصولِ المنهجيةِ الإسلاميَّةِ والعقيدةِ الرِّبانيَّةِ<sup>(١)</sup>.

هذا ما جعلني أختارُ الكتابةَ عن (صلاحِ الدِّينِ المُرَبِّيِّ)؛ لأنَّ في ذلك ظاهرةً تستحقُّ النَّظَرَ والدراسةَ، فالدولةُ الفاطميَّةُ اهتمَّتْ بالجانبِ التربويِّ اهتماماً شاملاً وكبيراً لإحداثِ التغييرِ في معالمِ المجتمعِ السُّنِّيِّ، فجاء هذا (القائدُ صلاحُ الدينِ)

---

(١) ليسَ مِنَ السَّهلِ اليسيرِ أنْ يُقتلَعَ مذهبٌ مِنَ المذاهبِ، بمجردِ تغييرِ النظامِ السِّياسيِّ في بلدٍ مِنَ البُلدانِ، إذ التغييرُ يحتاجُ إلى سنواتٍ عديدةٍ، واستخدامِ كافةِ الوسائلِ والتدابيرِ، وليسَ القوةُ والبطشُ فحسبَ، لذا فالملحوظُ أنَّ (صلاحَ الدِّينِ) - رَحِمَهُ اللهُ - استخدمَ وسائلَ وأساليبَ عديدةً في القضاءِ على الفكرِ الفاطميِّ بِمِصرَ، فبعضُ هذه الأساليبِ تتسمُّ بالشَّدَّةِ والحسَمِ العسكريِّ، والبعضُ الآخرُ بالحيلةِ والتدريجِ في التغييرِ، وبعضُها بالدَّعوةِ والتعليمِ والإقناعِ، وبالاستمالةِ عن طريقِ المنشآتِ الاجتماعيَّةِ الدِّينيَّةِ الخيريَّةِ وما يُوقفُ عليها من أوقافٍ للصرِّفِ عليها. (انظر: صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ وجهوده في القضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ: ص ٢٠٣-٢٠٤، للصَّلايِّ بتصرفٍ يسير).

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التُّرْبُوِيَّةِ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصْرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

فاستطاعَ خلالَ فترةٍ قصيرةٍ أن يبيِّنَ الأُمَّةَ ويرفعَ شأنَها من جديدٍ، وفقَ الأُسُسِ  
والمعاييرِ التي تكشفُ عنها هذه الدِّراسَةُ، وهي:

١ - اعتبارُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ التُّرْبُوِيَّةِ مِنَ الجوانبِ المُهمَّةِ في تاريخِ التُّربيَّةِ  
الإسلاميَّةِ، وهي جديرةٌ بالدِّراسةِ والتَّمحيصِ.

٢ - كشفُ النَّقابِ عن أهميَّةِ الدَّورِ التُّرْبُوِيِّ في إعادةِ البناءِ والتَّكوينِ.

٣ - كشفُ النَّقابِ عن صورةِ المجتمعاتِ السَّابِقةِ ومُقارنتُها بالمجتمعاتِ الحاضرةِ.

٤ - كشفُ النَّقابِ عن أهميَّةِ الحاكمِ المُسلمِ، وتبنيِّ التُّربيَّةِ أساسًا للتَّغييرِ، وربطُ

الماضي بالحاضرِ.

ولتحقيقِ الأهدافِ المشارِ إليها؛ فقد اعتمدتُ على مجموعةٍ كبيرةٍ من كُتُبِ  
التُّراثِ التي اعتنتُ بهذه الحُقبَةِ، فشرعتُ في الاطلاعِ عليها، ومن ثمَّ تحليلِها، ملخصًا  
مَا جاء فيها مما يخصُّ هذا البحثِ.

بيدَ أنَّ مُعظَمَ المصادرِ التي تناولتِ الحديثَ عن صلاحِ الدِّينِ اهتمَّتْ بالجانبِ  
التَّاريخيِّ والأحداثِ والصِّراعاتِ السياسيَّةِ التي اتَّسمَ بها عصرُه، باعتبارِه قائِدًا  
عسكريًّا بارزًا في تاريخِ الجهادِ الإسلاميِّ. كما أنَّ هذه المصادرَ أهملتْ بشكلٍ واضحٍ  
الجانبَ التُّرْبُوِيِّ وجهودَ صلاحِ الدِّينِ فيه.

وعليه؛ فإنَّ عمليَّيَّ يعتمدُ على جمعِ الرِّواياتِ المُتَناعِرةِ في كُتُبِ التَّاريخِ والتَّراجمِ،  
متَّبِعًا الطَّريقةَ الاستقرائيَّةَ التحليليَّةَ لذلك العصرِ، مع التَّرجمةِ للأعلامِ التي وردَ ذِكرُها  
في البحثِ ما استطعتُ إلى ذلك سبيلًا.

## خُطَّةُ البَحْثِ

يتكوَّنُ هذا الكتابُ من: مُقدِّمةٍ، وثلاثةِ فصولٍ، وخاتمةٍ، والفهارسِ:

### المُقدِّمةُ

وتشتملُ على:

- كلمةُ المؤلِّفِ.
- منهجُ البَحْثِ وخُطَّةُ العملِ.
- نبذةٌ عن نشأةِ الدولةِ الفاطميَّةِ، وعقائدها، وحُكَّامها.
- نبذةٌ عن حياةِ القائدِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ.

### الفصلُ الأوَّلُ

#### الحياةُ السياسيَّةُ والاجتماعيَّةُ والفكريَّةُ في عصرِ الفاطميينَ

ويشتملُ على المباحثِ التَّاليةِ:

- المبحثُ الأوَّلُ: الحياةُ السياسيَّةُ في عصرِ الفاطميينَ.
- المبحثُ الثاني: الحياةُ الاجتماعيَّةُ في عصرِ الفاطميينَ.
- المبحثُ الثالثُ: الحياةُ الفكريَّةُ في عصرِ الفاطميينَ.

### الفصلُ الثاني

#### المؤسَّساتُ التَّربويَّةُ التي أنشأها صلاحُ الدِّينِ

أثرُ جهودِ صلاحِ الدينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

ويشتملُ على تمهيدٍ ومبحثين:

- التمهيدُ.
- المبحثُ الأولُ: أنواعُ المؤسَّساتِ (الكتاتيبُ، المساجدُ، دورُ القضاءِ).
- المبحثُ الثاني: تمويلُ المؤسَّساتِ والإِنفاقُ عليها (أموالُ الدَّولةِ والأوقافِ..).

### الفصلُ الثالثُ

#### المناهجُ التَّربويَّةُ

ويشتملُ على ثلاثةِ مباحثَ:

- المبحثُ الأولُ: طبيعةُ المناهجِ في عصرِ الفاطميينَ (المناهجُ الشَّيعيَّة).
  - المبحثُ الثاني: أساليبُ صلاحِ الدينِ في تغييرِ المناهجِ السَّابِقةِ.
  - المبحثُ الثالثُ: المضامينُ التَّربويَّةُ في توجَّهاتِ صلاحِ الدينِ.
- وأخيراً: الخاتمةُ، يليها الفهارسُ.

\*\*\*

### نبذة عن نشأة الدولة الفاطمية، وعقائدها، وحكامها<sup>(١)</sup>

هذه النحلة هي إحدى الإفرازات اليهودية المجوسية البغيضة، ألا وهي بدعة التشيع لبعض آل البيت النبوي (علي بن أبي طالب وبعض أولاده وأحفاده ~~وهو~~)، حيث انقسم (الشيعة الرافضة) إلى فرق عديدة بلغت سبعة فرق<sup>(٢)</sup>، منها (الإسماعيلية الباطنية) التي ينتمي إليها (الفاطيون)، لذا سأتناول في هذا التعريف (الإسماعيلية) على وجه الخصوص دون بقية فرق الشيعة؛ لعلاقتها الوثيقة بهذا البحث، مع الإشارة إلى مجمل العقائد الإسماعيلية التي تتفق في كثير منها مع عقائد الشيعة الإمامية الرافضة. وقبل ذلك أذكر نبذة عن (أصل الشيعة والتشيع)؛ فأقول وبالله التوفيق:

قال الله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. في هذه الآية الكريمة يمتن الله - سبحانه وتعالى - على عباده المؤمنين بإكمال دينهم وشرعهم، ويخبرهم بارتضائه لهم مسلكاً ومنهجاً في حياتهم. وفيها أيضاً شهادة من الله تعالى لرسوله ومصطفاه ﷺ بقيامه بواجبه وأدائه لمهمته على خير وجه. وتتضمن الآية أيضاً الشهادة للصحابة - ~~وهو~~ - بذلك.

(١) استقيتُ التعريف هؤلاء المارقين من عدّة مراجع، أهمّها: «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب

والأحزاب المعاصرة»، و«أصول الإسماعيلية دراسة تحليل نقد» للسلومي؛ باختصارٍ وتصرفٍ.

(٢) هي: ١- الإسماعيلية الفاطمية، ٢- الإسماعيلية القرامطية، ٣- الإسماعيلية الحشاشون، ٤- إسماعيلية

الشام، ٥- الإسماعيلية البهرة، ٦- الإسماعيلية الأغاخانية، ٧- الإسماعيلية الواقعة.

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

فَقَدْ أَخَذَ الصَّحَابَةُ الكِرَامُ هَذَا الدِّينَ غَضًّا طَرِيًّا مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَخَذُوا مَا  
أَتَاهُمْ اللهُ تَعَالَى بِقُوَّةٍ وَأَمَانَةٍ وَصِدْقٍ، وَضَرَبُوا أَرْوَاعَ الْأَمْثَلَةِ فِي امْتِثَالِ أَمْرِ اللهِ وَأَمْرِ  
رَسُولِهِ ﷺ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَفِي حُبِّ اللهِ تَعَالَى وَحُبِّ رَسُولِهِ ﷺ، وَتَقْدِيمِهِمَا عَلَى  
المَالِ وَالنَّفْسِ وَالْوَالِدِ، وَفِي بَذْلِ الْأَمْوَالِ وَالْأَرْوَاحِ رَاحِيَةً فِي سَبِيلِ هَذَا الدِّينِ وَإِعْلَاءِ  
كَلِمَتِهِ، حَتَّى أَعْجَزُوا البَّاحِثِينَ فِي تَارِيخِ البَشَرِيَّةِ أَنْ يَجِدُوا لِدَلِّكَ الْجِيلِ مَثِيلًا. كَيْفَ لَا  
يَكُونُ ذَلِكَ وَقَدْ شَهِدَ اللهُ تَعَالَى بِفَضْلِهِمْ وَصِدْقِهِمْ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَيَكْفِيهِمْ أَنْ مَوْلَاهُمْ  
قَدْ شَهِدَ بِصِدْقِهِمْ فِيمَا عَاهَدُوا اللهُ عَلَيْهِ فِي الْإِلتِزَامِ بِشَرْعِهِ وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ.

إِنَّهُمْ قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللهُ تَعَالَى لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وَخَلِيلِهِ ﷺ، وَإِقَامَةِ دِينِهِ وَشَرْعِهِ فِي زَمَنِ  
طَغَتْ فِيهِ الْمُنْكَرَاتُ وَالضَّلَالَاتُ، وَكَثُرَ فِيهِ الشَّرُّ وَالْفَسَادُ، وَقَدْ وَصَفَ حَاهُمُ الصَّحَابِيُّ  
عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه فَقَالَ:

«إِنَّ اللهُ تَعَالَى نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ  
فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَأَبْتَعَتْهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ - بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ - فَوَجَدَ  
قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ»<sup>(١)</sup>.

(١) أثر صحيح: رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٧٩)، وقال محققه العلامة أحمد شاكر - الحديث رقم  
(٣٦٠٠) -: «إسناده صحيح». وقال المحدث الألباني في «تخريج الطحاوية»: ص ٤٧٠: «حسن موقوفًا،  
أخرجه الطيالسي [في مسنده] وأحمد وغيرهما بسند حسن، وصححه الحاكم [في المستدرک] ووافقه  
الذهبي [في تلخيص المستدرک]، واشتهر على الألبسة مرفوعًا، وفي سنده كذاب، والصحيح وقفه،  
وهما [الموقوف والمرفوع] مخرجان في السلسلة الضعيفة: ٥٣٢، ٥٣٣». اهـ بإيضاح.

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

عاش الرعيل الأول من هذه الأمة وسلفها الصالح - وهم الصحابة رضي الله عنهم - قلباً واحداً عاصين على دينهم بالنواجذ، باذلين في سبيل طاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم كل ما يملكون، لم يجعل الله - تعالى - فيهم ولا بينهم منفذاً للشيطان لينال من دينهم وتمسكهم وحبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، الأمر الذي كافأهم الله - تعالى - عليه؛ بالتأليف بين قلوبهم، فكانوا إخواناً متحابين، لم تفرق بينهم الأنساب والألوان والأعراف، ولا غيرها من عصبية الجاهلية. وكان عهدهم يخلو من الاختلافات التي تفرق الصفوف وتكون الفرق والأحزاب والمذاهب؛ حيث عاشوا حول إمام الهدى والرحمة صلى الله عليه وسلم أمة واحدة، نعم كانت تطرأ بينهم بعض الاختلافات في بعض المسائل، ولكن سرعان ما كانت تتلاشى برجوعهم إلى نبيهم صلى الله عليه وسلم وامتثال حكمه فيما اختلفوا فيه.

هكذا عاش الصحابة رضي الله عنهم بهذه الروح الطيبة النقية، وجاءت آيات وأحاديث كثيرة تشهد لهم بالفضل والمنزلة الرفيعة؛ لحسن امتثالهم، وصدق إيمانهم، وعظيم تضحيتهم في سبيل هذا الدين، حتى شهد الله تعالى بالرضى عنهم، وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ.

ومما يشهد على صدق إيمانهم وأخوتهم واتحادهم؛ أن جهز رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولئك الرجال جيوشاً إيمانية ترفع ألوية ربانية، قليلة العدد والعدد المادية، ليواجهوا قوى الكفر والطغيان بأعدادها وعددها العظيمة، فخرجوا مجاهدين في سبيل الله تعالى لينشروا دينه في أرضه، فهجروا الأهل والأوطان، وجأبوا البراري والقفار، وتحملوا الصعاب والمشاق؛ إرضاءً لمولاهم وخالقهم عز وجل.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

ولمَّا عَلِمَ اللهُ تَعَالَى صِدْقَهُمْ؛ صَدَقَهُمْ، وَأَخْضَعَ لَهُمُ الْجَبَابِرَةَ وَالْمُلُوكَ، وَانْهَزَمَتْ جُيُوشُ الكُفْرِ وَالإِلْحَادِ أَمَامَهُمْ، وَانْتَصَرَ الحَقُّ وَأَهْلُهُ، وَفَتَحُوا المَمَالِكَ وَالبِلَادَ، وَأَخْرَجُوا العِبَادَ مِنْ عِبَادَةِ العِبَادِ وَالْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَةِ المَلِكِ الدِّينِ، وَدَانَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا شَرْقُهَا وَغَرْبُهَا وَسَمَاهَا وَجَنُوبُهَا، وَمَكَّنَهُمُ اللهُ تَعَالَى مِنْ إِقَامَةِ أعْظَمِ دَوْلَةٍ وَأَقْوَى مَمْلَكَةٍ تُحْكَمُ كِتَابَ اللهُ تَعَالَى وَشَرْعَهُ، وَتُرْفَرَفُ عَلَيْهَا سَحَابُ العَدْلِ والرَّحْمَةِ وَالْأَمَانِ.

إِسْتَمَرَ الصَّحَابَةُ وَأَتْبَاعُهُمْ رضي الله عنهم عَلَى تِلْكَ الحَالِ الصَّافِيَةِ - النَّفِيَّةِ مِنْ كُلِّ شَوَائِبِ الفُرْقَةِ وَالإِخْتِلَافِ وَالبُعْضِ وَالكِرَاهِيَةِ - طَيِّلَةَ أَيَّامِ الخَلِيفَةِ (أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه)، الَّذِي حَمَلَ اللُّوَاءَ وَسَارَ بِالرَّكْبِ عَلَى مَهْجِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَسِيرَتِهِ، فَمَا كَادَ خِلَافٌ يَنْشُبُ وَيَظْهَرُ حَتَّى يُسَوَّى فِي مَهْدِهِ.

لِذَا لَا شَكَّ أَنَّ مَا يُدْنِدُنُ بِهِ (الشَّيْعَةُ الرَّافِضَةُ) حَوْلَ مَا جَرَى بَيْنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم بِخِصُوصِ الإِمَامَةِ وَالخِلَافَةِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم؛ هُوَ مِنْ أعْظَمِ الكَذِبِ وَالتَّزْوِيرِ فِي تَارِيخِ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَأَنَّ مَا كَانَ يَوْمَ (السَّقِيفَةِ) <sup>(١)</sup> مِنْ آرَاءٍ عَنِ الإِمَامَةِ - وَإِنْ سُمِّيَ خِلَافًا أَوْ نِزَاعًا - فَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ وَلَمْ يَسْتَمِرَّ، وَمَا كَادَ يَصِلُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى (السَّقِيفَةِ) حَتَّى خَمَدَ الخِلَافُ، وَاتَّفَقَ المُسْلِمُونَ، وَأَجْمَعُوا عَلَى أَمْرِهِمْ، وَالفَضْلُ اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ لِحُجُودِ أولئكِ المُخْلِصِينَ الَّذِينَ خَلَفَهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِقِيَادَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ وَسَائِرِ أُمَّمٍ

(١) سَقِيفَةُ بَنِي سَاعِدَةَ: هِيَ مَكَانٌ بِالمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ، ظِلَّةٌ كَانُوا يَجْلِسُونَ تَحْتَهَا، بَايَعُ فِيهَا أَهْلَ الحَلِّ وَالعَقْدِ مِنْ

الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ عَلَى إِمَامَةِ الأُمَّةِ. (مُعْجَمُ البُلْدَانِ: ٣/ ٢٢٨).



أثرُ جهودِ صلاحِ الدينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

الأرضِ .

ثمَّ جاءَ الخليفةُ الثَّاني (عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه) والأُمَّةُ كُلُّهَا على اتِّفَاقٍ لَا اخْتِلافَ بينها وَلَا فُرْقَةَ، واستمرُّوا كذلكَ حتَّى انتقلَ (عُمَرُ رضي الله عنه) إلى رَحْمَةِ رَبِّهِ تَعَالَى، بَعْدَ أَنْ قَادَ الأُمَّةَ وَسَارَ بِهَا على سُنَّةِ رَسُولِهِ وَنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَدْيِهِ وعلى نَهْجِ سَلْفِهِ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه .

ثمَّ جاءَ الخليفةُ الثَّالثُ (عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه)؛ فانتَهَجَ نَهْجَ سَلْفَيْهِ السَّابِقَيْنِ: (أبي بكرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما)، على وَفْقِ سِيرَةِ رَسُولِ الْهُدَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا زَاغَ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ قَبْدَ أَنْمَلَةٍ، وَلَا غَيَّرَ وَلَا بَدَّلَ، بَلْ سَلَكَ بِالأُمَّةِ الْمَسْلِكَ الْقَوِيمَ على الرَّغْمِ مِنْ كَثْرَةِ الْفِتَنِ، وَلَا سِيْمَا فِي أُخْرِيَاتِ أَيَّامِهِ حِينَ لَاحَتْ بَوَادِرُ الْفُرْقَةِ وَالاخْتِلافِ فِي حَيَاةِ الأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُ أَهْلِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ؛ حَيْثُ عَمِلَ بَعْضُ الْمُجْرِمِينَ الْحَاقِدِينَ - مِنْ الْمَجُوسِ وَالْيَهُودِ وَغَيْرِهِمْ - ضِدَّ الْإِسْلَامِ مُنْذُ أَيَّامِ «الْفَتْوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ» الَّتِي أَخْضَعَتْ رِقَابَهُمْ، وَأَذَلَّتْ سِلَاطِينَهُمْ، وَبَدَّدَتْ دَوْلَهُمْ، وَمَزَّقَتْ جُمُوعَهُمْ، وَحَطَّمَتْ أَصْنَامَهُمْ وَأَوْثَانَهُمْ.

ولأنَّ هذا «الْفَتْحَ الْعَظِيمَ» غَاظَ أَهْلَ الشَّرِّ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ النَّحْلِ وَالْمَلَلِ، وَسَيَّفَ الْإِسْلَامَ أَرْعَبَهُمْ، فَقَدَ أَظْهَرُوا لِدَوْلَةِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خِلَافَ مَا كَانُوا يُبْطِنُونَ مِنْ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ؛ حَقَّنًا لِدِمَائِهِمْ، وَحِفاظًا على أَرْوَاحِهِمْ، هَكَذَا عَاشَ هَذَا الصَّنْفُ الْحَبِيثُ فِي صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ، يَعْمَلُونَ فِي الظُّلَامِ، وَيَكِيدُونَ هَذَا الدِّينَ الْعَظِيمَ وَأَهْلَهُ بِدَافِعٍ مِنَ الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْبَغْضَاءِ.

وَلَمَّا فَشَلَّتْ سُيُوفُهُمْ، وَلَمَّا رَأَوْا قُوَّةَ الْإِسْلَامِ؛ اتَّجَهُوا بِسَهَامِهِمْ وَمَكْرِهِمْ وَكَيْدِهِمْ

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

إلى جوانب الإسلام العلمي والاعتقادي لإفسادها، فأتجهوا إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ بأنواع من المكر والكيد، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾<sup>(١)</sup>؛ فكم زعموا في آيات «القرآن الكريم» من تناقض وتعارض وتحريف وتبديل؟! إلى غير ذلك من مزاعم شيطانية يلقىها عليهم إبليس وجنوده، وكما قالوا في «كتاب الله تعالى»؛ قالوا مثله وأكثر منه أضعافاً في «سنة رسوله ﷺ»، وما علم أولئك الأقرام أن الله تعالى قد تكفل بحفظ دينه من أيدي العابثين ومكر الماكين من الكفرة والزنادقة الملحدين ومن نحا نحوهم من المفسدين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وكلما فشل إفسادهم في جانب من جوانب هذا الدين؛ لجأوا إلى أسلوب آخر وسلاح جديد لمقاومة هذا الدين والمد الإسلامي العظيم، فتعددت أسلحتهم، وكثرت أساليبهم الماكرة التي استعملوها، ومن هذه الأساليب التي جأوا بها هذا الدين؛ أسلوب محاربة الدين من داخله، وذلك بتبني بعض مبادئه وعقائده وسلوكياته والتظاهر بها والعمل تحت شعارها والتحمس لها والدعوة إليها، مع تجاوز الحد الشرعي والغلو فيها باسم الدعوة إليها بحجة هجر الناس لها وإنكارها والبعد عنها. إن هذا الأسلوب كان وما زال من أخطر أساليب هدم الإسلام والفتك بأهله،

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التُّرْبُوِيِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

وقَد وَجَدَ هؤُلاءِ الأَقْرَامُ المُنحرفونَ فِيهِ بُغْيَتَهُمْ وَضالَّتَهُمْ، وَقَدِ اسْتَطَاعَتِ حَرَكََةُ العُلُوِّ هذِهِ - بِهَذَا الأَسْلُوبِ الخَبِيثِ - الصُّمُودَ وَمُواصِلَةَ مَعْرَكَتِهَا مَعَ الحَقِّ وَأَهْلِهِ، فِي حِينِ سَقَطَ الكَثِيرُ مِنَ الأَسَالِيبِ والحَرَكَاتِ الأُخْرَى؛ ذَلِكَ لِأَنَّ العُلُوَّ لَا يُظْهِرُ مُعَارَضَتَهُ لِلإِسْلَامِ، وَإِنَّمَا يَسِيرُ مَعَ مَبَادِيهِ وَعَقَائِدِهِ مُتَظَاهِرًا بِالْحِرْصِ عَلَيْهِ والرَّجُوعِ إِلَى أُصُولِهِ.

وبهذا استطاع الغلاة في أواخر أيام الخليفة الثالث (عثمان بن عفان رضي الله عنه) أن يُحَقِّقُوا بَعْضَ أَغْرَاضِهِمْ، فَأَحْدَثُوا فِتْنَةً عَظِيمَةً أَمَسَى الحَلِيمُ فِيهَا حَيْرَانًا، وَاسْتَمَرَّتِ الفِتْنَةُ، فَظَهَرَ بَيْنَ المُسْلِمِينَ بَعْضُ دُعَاةِ الشَّرِّ والْفُرْقَةِ، فَوَاصَلُوا عَمَلَهُمْ وَجُهِدَهُمْ فِي بَثِّ رُوحِ الفُرْقَةِ، وَنَشَرَ الفِتْنِ بِاسْمِ المِصْلِحَةِ الدِّينِيَّةِ وَالسِّيَاسَةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الشُّعَارَاتِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي سَتَرُوا بِهَا كُفْرَهُمْ وَحِقْدَهُمْ عَلَى الإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَزْدَادَ أَمْرُهُمْ وَخَطَرُهُمْ وَعَمَّتْ فِتْنَتُهُمْ حَتَّى اسْتَشْهَدَ فِيهَا عُثْمَانُ رضي الله عنه وَحَقَّ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَرَفِيقِيهِ فِي رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى.

وقَدِ اخْتَارَ (الخليفةُ عُثْمَانُ رضي الله عنه) عَدَمَ مُقَاوَمَتِهِمْ، مُؤَثِّرًا اعْتِرَالَ الفِتْنَةِ، وَلِزُومِ الصَّمْتِ، وَالصَّبْرِ؛ رَغْبَةً مِنْهُ فِي حَقْنِ دِمَاءِ المُسْلِمِينَ، وَحُبًّا فِي أَنْ تَنْقُضِي أَيَّامُهُ وَهُوَ عَلَى طَرِيقِ مَنْ سَبَقَهُ، وَأَنْ تَتَحَقَّقَ فِيهِ بِشَارَةُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَهُ بِالشَّهَادَةِ <sup>(١)</sup>.

(١) ثَبَتَ أَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «أَنْذَنَ لَهُ وَبَشَّرَهُ بِالجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى سَتُصِيبُهُ». [مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»: كِتَابُ فِضَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: بَابُ مَنَاقِبِ عُثْمَانَ (الْفَتْحُ: ٥٣/٧ رَقْمُ ٣٦٩٥)، وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»: كِتَابُ فِضَائِلِ الصَّحَابَةِ: بَابُ =

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

ثم بدأت الفرقة والاختلافات تدب بين المسلمين، فظهرت الفرق والأحزاب الواحدة تلو الأخرى، وتشيع لكل منها طائفة من أهل القبلة، وأظهرت بعض تلك الفرق أفكاراً وعقائد تخالف في مجملتها ما كان عليه سلف هذه الأمة.

وكان من أول ما حدث في هذه الأمة من هذه الفرق «فرقتان»، تشيع لكل منهما جماعة من أهل القبلة، وهما: (فرقة الخوارج) و (فرقة الشيعة). وكانت كل فرقة محلاً

= من فضائل عثمان (٤/ ١٨٦٧ رقم ٢٨/٢٤٠٣ - ط عبد الباقي). وعن أنس رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان صعدوا جبل أحد فرجع بهم، فقال رسول الله ﷺ: «أثبت أحد؛ فإنما عليك نبي، وصديق، وشهيدان». [أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه»: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (الفتح: ٧/ ٢٢ رقم ٣٦٧٥)]. وانظر المزيد من فضائل عثمان رضي الله عنه في كتاب «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم» لناصر الشيخ (١/ ٢٥٩-٢٧٤).

ولمعرفة الرواية التاريخية الصحيحة لأحداث استشهاد الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه، ودحض ما افتراه عليه أعداء الأمة والإسلام من المنافقين والفرس المجوس واليهود السبئية وغيرهم؛ انظر هذه الكتب:

- «عقائد الثلاث والسبعين فرقة»: (١/ ١٤٨).
- «عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام»: (الباب الثالث ص ١١١-١٥٩).
- «عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم»: (٣/ ١٠٥٠).
- «عصر الخلافة الراشدة: محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين» (ص ٤١٥-٤٤٧).
- «تحقيق موقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين»: (١/ ٢٦٧-٤٦٥ و ٢/ ٥-٤٣).

- «استشهاد عثمان رضي الله عنه ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري دراسة نقدية».

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

ومَوْطِنًا لأنواعٍ مِنَ البِدَعِ والمنكراَتِ، وعمِلوا جميعًا مُتسَرِّينَ بِظُلِّ الغُلُوِّ ومُجاوِزَةَ الحدِّ، فغَلَا (الخوارجُ النَّواصبُ) في بُغْضِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَتَكْفِيرِهِ<sup>(١)</sup>، وَغَلَتِ (الشَّيعَةُ الرَّافِضَةُ) فِي حُبِّهِ وَوِلايَتِهِ وَحَتَّى نُبوَّتِهِ وَأُلُوهُيَّتِهِ. وَكانتِ هاتانِ «الْفِرْقَتانِ» مُتقابلتينِ فِي جميعِ أَفكارِهِما وَعَقائِدِهِما، فَلَا تَزَعُمُ إِحداهُما قَوْلًا إِلَّا وَتَدَّعِي الأُخرى ضِدًّا لَهُ.

وَاسْتَمَرَّ (الشَّيعَةُ) فِي غُلُوِّهِمْ؛ فَتَظاهروا كِذْبًا وَزورًا بِحُبِّ آلِ البَيْتِ، وَسَتَرُوا تَحْتَهُ غُلُوَّهُمْ فِي (عَلِيٍّ، وَفَاطِمَةَ، وَالْحَسَنِ، وَالْحُسَيْنِ، وَأَوْلادِ الْحَسَنِ عليه السلام)، وَبَدَأُوا يُوجِّهونَ سِهامَ كُفْرِهِمَ لِهَذَا الدِّينِ مِنْ هَذَا المُنطَلَقِ الَّذِي جَذَبُوا إِلَيْهِ عَاطِفَةً فِئَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَطَعَنُوا فِي الصَّحابةِ طُغُونًا عَظِيمَةً تَحْزُنُ - وَاللهُ! - فِي نُفوسِ أَهلِ الإيْمانِ، وَتَدُوبُ لَهَا قُلُوبُهُمْ كَمَدًّا وَحَزْنًا، وَتَثورُ فِيها الأَلامُ وَالشُّجُونُ، وَتَزدادُ حَسْرَتُهُمْ، وَيَتَوَلَّونَ وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ إِلَّا يَجِدُوا ما يَقَمَعُوا بِهِ هؤُلاءِ الفَجْرَةَ<sup>(٢)</sup>.

(١) تنوعت التعاريفُ في كُتُبِ الفِرَقِ (للخوارجِ)، والصَّحيحُ: أَنها طائفةٌ ذاتُ اتِّجاهٍ سياسيٍّ وآراءٍ خاصَّةٍ، خَرَجَتْ عَنِ جيشِ الخَليفةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَالتَحَمُّوا مَعَهُ فِي مَعْرَكَةِ (النَّهْرَوَانِ)، وَناصبوه وَأَهْلَ بَيْتِهِ العِداةَ وَكَفَرُوهُ وَبعضُهُم فَسَقَهُ. (انظر: فِرَقٌ مَعاصرةٌ تَنسَبُ إِلى الإِسْلامِ وَبَيانُ مَوقِفِ الإِسْلامِ مِنْها: ٢/ ٢٢٥-٢٩٩).

(٢) حَكَمَ أَهلُ العِلْمِ (بِكُفْرِ) مَنْ سَبَّ وَكَفَرَ صَحابَةَ رَسولِ اللهِ ﷺ وَأزواجَهُ أُمَّهاتِ المُؤمِنِينَ؛ لِأَنَّ تَكْفِيرَ الصَّحابَةِ وَأُمَّهاتِ المُؤمِنِينَ - الَّذينَ شَهِدَهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي «الْقُرْآنِ» وَرَسولُهُ ﷺ فِي «صَحيحِ السُّنَّةِ» بِالإيْمانِ، وَوَعَدَهُمُ بِالجَنَّةِ، وَترَضَّى عَنْهُمْ - يُعَدُّ إنكارًا لأُصولِ الدِّينِ المَعْلومَةِ بالضرورةِ، وَتَكْذِيبًا لِللهِ تَعَالَى وَلرَسولِهِ ﷺ، وَقَدْ أَجمَعوا عَلَيَّ أَنَّ مَنْ أنكَرَ المَعْلومَ مِنَ الدِّينِ بالضرورةِ، وَكذَّبَ اللهُ وَرَسولَهُ؛ =

أثرُ جهودِ صلاحِ الدينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

إنَّ ابتداعهم وغلُوهم ما زالَ يفتِكُ بالإسلامِ وأهلِهِ مُنذُ أكثرِ مِن (أربعةِ عَشَرَ قَرْنًا) مُستخدِمينَ أخبثَ ما عرَفتهُ البشريَّةُ مِن فنونِ المكرِ والكيدِ والدَّسِّ والتَّزويرِ والتَّشويهِ، وغيرِ ذلكِ مِن أنواعِ التَّامرِ ما تترلُّزُ له الجِبَالُ الرَّاسياتُ، ولو لا وَعْدُ اللهِ تَعَالَى بِحفظِ هذا الدينِ وبِقائِهِ وأهلِهِ إلى يومِ الدينِ؛ لكانَ الإسلامُ مُنذُ قرونٍ خَبْرًا مِن الأخبارِ المُدَوَّنةِ في كُتُبِ التَّاريخِ؛ ذلكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَتعرَّضْ دينٌ قطُّ مِن الأديانِ إلى مُحاولاتِ التَّشويهِ والتَّزويرِ كما تعرَّضَ له هذا الدينُ.

ولكن على الرَّغمِ مِن كَثرةِ قُوَى وحيَلِ الشَّرِّ والعُدوانِ في حَرَبِهِم الإسلامَ بِمبادئِهِ ومِن داخلِهِ بِسلاحِ الغُلُوِّ؛ فقد قيَّضَ اللهُ تَعَالَى رجالًا مؤمنينَ عُلَماءَ عاملينَ وأبطالًا مُجاهدينَ، أمدَّهُم بتوفيقِهِ وأعانَهُم على قُوَى الشَّرِّ والفسادِ، فقاموا بِواجبِ الذَّبِّ عَن دينِ اللهِ وشَرِّعِهِ، وَعَنِ الأعلامِ الشَّاخِينَ مِن أوائلِ هذه الأُمَّةِ، وإنَّ جُهودَهُم المُباركةَ التي بدأتُ مُبكرَةً مُنذُ ظُهورِ البدعِ تُمثِّلُ صورةً مُشرقةً مِن صُورِ حِفْظِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لدينِهِ الحنيفِ، وما زالوا يتعاقبونَ على مَرِّ القُرُونِ، يذُبُّونَ عَن دينِ اللهِ تَعَالَى ما يَتَّحِلُّهُ الزَّنادقةُ والمارقونَ، ما دامتِ المعركةُ قائِمةً بَيْنَ الحَقِّ والضَّلالِ حتَّى يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومَنَ عليها.

فَكَمْ تَصَدَّوْا لِكُلِّ زَيْفٍ وَباطِلٍ وَتَحْرِيفٍ وَتَأْوِيلٍ وَظُلْمٍ وَاضْطِهَادٍ وَطغیانٍ، وَكَمْ

= فقد كَفَرَ الكُفْرَ الأَكْبَرَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ بِهِ الخُلُودَ فِي النَّارِ، وَخَرَجَ مِنَ المِلَّةِ، وَلَوْ صَلَّى وَصَامَ وَحَجَّ البَيْتَ الحَرَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ. (أَنْظَرُ: عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجماعَةِ فِي الصَّحَابَةِ: لِناصِرِ الشَّيخِ: ٢/٨٥٦).

أثرُ جهودِ صلاحِ الدينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

بَدَلُوا وَضَحُّوا بِأَوْقَاتِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأُرْوَاهِهِمْ؛ لِيَصِلَ إِلَيْنَا هَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ كَمَا أَنْزَلَهُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَهَا هِيَ مُؤَلَّفَاتُهُمْ لَا تَكَادُ تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى خِدْمَةً لِلَّهِ تَعَالَى وَدِينِهِ الْحَنِيفِ، وَهَا هِيَ آثَارُ الْمَجَاهِدِينَ الَّذِينَ حَفِظُوا بِيضَةَ الْإِسْلَامِ وَمُقَدَّسَاتِهِ، وَمِنْهُمْ الْبَطْلُ الْهَمَامُ الْمَجَاهِدُ (السُّلْطَانُ صِلَاحُ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ) الَّذِي نَتَعَرَّضُ فِي هَذَا الْبَحْثِ لْجُهِودِهِ فِي الْقَضَاءِ عَلَى بَعْضِ آثَارِ هَذِهِ الْبَدْعَةِ الضَّالَّةِ الْمُنْتَمِلَةِ فِي (الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ) الَّتِي احْتَلَّتْ الْكَثِيرَ مِنْ دَوْلِ الْإِسْلَامِ وَعَاقَتْ فِيهَا الْفَسَادَ وَالظُّلْمَ وَالْإِضْطِهَادَ.

فَرِحَ اللَّهُ هُوَ لِأَعْلَامِ رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ، وَجَعَلَنَا مِنْ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ حَقَّهُمْ وَفَضْلَهُمْ وَيَسْلُكُونَ مَسْلَكَهُمْ وَيُكْمِلُونَ مَسِيرَتَهُمْ الْمُبَارَكَةَ فِي الدِّفَاعِ عَنْ هَذَا الدِّينِ وَعَنْ حَمَلَتِهِ الْأَوَائِلِ (الصَّحَابَةِ) رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ، تَحْقِيقًا لِوَعْدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْقَائِلِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الْحَجَّ: ٣٨].

\*\*\*

### التعريفُ بالفاطميينَ

الفاطميّونَ هم فرقةٌ شيعيَّةٌ باطنيَّةٌ تنتسبُ إلى (إسماعيلَ بنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ)؛ حيثُ اتخذوه إمامًا، مخالفينَ في ذلك بقيةَ أهلِ الرِّفضِ - الشَّيعةِ الإِماميَّةِ - القائلينَ بأنَّ الإمامَ بعدَ (جَعْفَرِ الصَّادِقِ) ﷺ ابنُه الأكبرُ (موسى بنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ).

ظاهرُها: التَّشيعُ لبعضِ آلِ البيتِ، وهو القولُ بأحقِّيَّتهم في حُكْمِ وزعامةِ المسلمينَ بعدَ النَّبيِّ ﷺ دونَ غيرِهِم.

حقيقتُها: أنها حركةٌ فارسيَّةٌ شُعوبيَّةٌ، غاظها انتشارُ الإسلامِ، وإِعلاءُ كلمةِ اللهِ في الأرضِ، وهزيمةُ الطواغيتِ والقضاءُ على دولِهِم، ومنها (دولةُ فارسِ المَجُوسِيَّةِ) التي تعبدُ النَّارَ والأكاسرةَ، فبعدما أيقنَ هؤلاءِ المهزومونَ أنَّه لا سبيلَ إلى هزيمةِ الإسلامِ عسكريًّا، سَعَوْا بالتَّعاونِ مع اليهودِ الحاقدينَ - وغيرِهِم - إلى هدمِ الإسلامِ وتقويضِ عقائدهِ وأركانِهِ مِنَ الدَّاخلِ، بيثُ الفتنِ والضغائنِ والعقائدِ الفاسدةِ بينَ المسلمينَ.

فأوَّلُ الأمرِ قاموا بإثارةِ بعضِ المسلمينَ على الخليفةِ الثالثِ: (عُثمَانَ بنِ عَفَّانَ رضي الله عنه) بحُجَجٍ واهيةٍ، أدَّتْ في نهايةِ الأمرِ إلى الخُروجِ عليهِ وحصارهِ في المدينةِ وقتلهِ شهيدًا مُحْتَسِبًا صابِرًا، بعدَ أن رَفَضَ أن يُقاتلَهُم، بل نهى مَنْ حولهُ عن القتالِ والدِّفاعِ عنه؛ مخافةً أن يكونَ أوَّلَ مَنْ بدأ بالفِتنةِ، وأن يُعرِّضَ أهلَ المدينةِ لويلاتِ الحربِ.

ثمَّ استغلَّوا الخلافَ الذي وقعَ بينَ الصحابةِ بخصوصِ القصاصِ من قَتْلَةِ عُثمَانَ، حيثُ رأى عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه - الذي تولَّى الخلافةَ بعدَ عُثمَانَ - التَّريثَ قبلَ تَتَبُّعِ



أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التُّرْبُوويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

الْقَتْلَةَ وَالثُّوَارِ لِتَهْدِئَةِ الْأُمُورِ، ثُمَّ يُلَاحِظُهُمْ بَعْدُ وَيَقْتَصُّ مِنْ قَتْلَةِ عُثْمَانَ ~~حِينَئِذٍ~~، وَرَأَى أَقْرَبُ عُثْمَانَ وَبَعْضُ الصَّحَابَةِ ~~حِينَئِذٍ~~ ضَرُورَةَ أَنْ يَقُومَ (عَلِيٌّ) بِمَلَاخِقَةِ الْقَتْلَةِ عَلَى الْفَوْرِ وَالِاقْتِصَاصِ مِنْهُمْ، وَإِلَّا لَا يُبَايَعُونَهُ عَلَى إِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ.

هذا، وقد تشعبت (فرقُ الإسماعيلية) وامتدت عبر الزمان حتى وقتنا الحاضر، وجميعها تخالف العقائد الإسلامية الصحيحة، وتميل إلى الغلو الشديد في طقوسها وأساطيرها لدرجة أن (الشيعة الاثني عشرية الإمامية) نفسها تظهر تكفير الإسماعيلية.

#### التأسيسُ وأبرزُ الشخصياتِ:

■ أولاً: الإسماعيلية القرامطية: كان ظهورهم في البحرين والشام بعد أن شقوا عصا الطاعة على الإمام الإسماعيلي نفسه، ونهبوا أمواله ومتاعه، فهرب من سلمية في سوريا إلى بلاد ما وراء النهر خوفاً من بطشهم.

#### من شخصياتهم:

- عبد الله بن ميمون القداح: ظهر في جنوبي فارس سنة (٢٦٠هـ).
- الفرج بن عثمان القاشاني (ذكرويه): ظهر في العراق ودعا للإمام المستور.
- حمدان قرمط بن الأشعث (٢٧٨هـ): جهر بالدعوة قرب الكوفة.
- أحمد بن القاسم: الذي بطش بقوافل التجار والحجاج.
- الحسن بن بهرام (أبو سعيد الجنابي): ظهر في البحرين، ويُعتبر مؤسس دولة القرامطة.

- ابنه سليمان بن الحسن بن بهرام (أبو طاهر): حكم ثلاثين سنة، وفي عهده حدث

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

التوسُّعُ والسيطرةُ، وقد هاجمَ الكعبةَ المُشرفةَ سنةَ (٣١٩هـ)، وسرقَ الحجرَ الأسودَ وأبقاه عنده لأكثرِ من عشرينَ سنةً.

- الحسنُ الأعصمُ بنُ سليمانَ: استولى على دِمَشقَ سنةَ (٣٦٠هـ).

■ ثانيًا: الإسماعيليَّةُ الفاطميَّةُ: هي الحركةُ الإسماعيليَّةُ الأصليَّةُ، وقد مرَّت

بعِدَّةِ أطوارٍ وأدوارٍ:

١ - دَوْرُ السُّرِّ: بدأ من موتِ إسماعيلَ سنةَ (١٤٣هـ) إلى ظهورِ عبيدِ اللهِ المهديِّ.

وقد اختلَفَ في أسماءِ أئمَّةِ هذه الفترةِ بسببِ السُّرِّيَّةِ التي انتهجوها.

٢ - بدايةُ الظهورِ: بدأ الظهورُ بالحسنِ بنِ حَوْشِبِ الذي أسَّسَ دولةَ الإسماعيليَّةِ

في اليمنِ سنةَ (٢٦٦هـ)، وامتدَّ نشاطُه إلى شمالِ إفريقيا، واكتسبَ شيوخَ كُتامةَ.

يلي ذلكَ ظهورُ رفيقه عليِّ بنِ فضلٍ الذي ادَّعى النُّبوَّةَ وأعفى أنصاره منَ

الصومِ والصلاةِ.

٣ - دَوْرُ الظهورِ: يبدأ بظهورِ عبيدِ اللهِ المهديِّ الذي كان مُقيماً في سَلَمِيَّةَ بسوريا، ثم

هربَ إلى شمالِ إفريقيا واعتمدَ على أنصاره هناك منَ الكُتاميِّينَ.

٤ - قَتَلَ عبيدُ اللهِ داعيتهَ أبا عبدِ اللهِ الشَّيْعيَّ الصَّنْعانيَّ وأخاه أبا العباسِ لشكَّهما في

شخصيَّتهِ وأنه غيرُ الذي رأياه في سَلَمِيَّةَ.

\* أسَّسَ (عبيدُ اللهِ) أولَ دولةٍ إسماعيليَّةِ فاطميَّةِ في المهديَّةِ بإفريقيَّةِ (تونس)،

واستولى على رَقادةَ سنةَ (٢٩٧هـ)، وتتابعَ بعده الخلفاءُ الفاطميُّونَ، وهم:

\* المنصورُ باللهِ (أبو طاهرٍ إسماعيلُ) ٣٣٤-٣٤١هـ.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصْرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

• المعزُّ لدينِ اللهِ (أبو تميمٍ معدُّ): وفي عهدِهِ احتلُّوا مِصْرَ سنةَ (٣٦١هـ)، وانتقل إليها في رمضان سنةَ (٣٦٢هـ)، هو: المعزُّ أبو تميمٍ، معدُّ بنُ المنصورِ إسماعيل بن القائمِ بأمرِ اللهِ محمد بن المهدي عبيد الله العبديِّ الفاطميِّ المغربيِّ الرافضيِّ، مولدهُ بالمهديةِ ببلادِ المغربِ، تولى الخِلافةَ بعدَ موتِ أبيه المنصورِ ببلادِ المغربِ يومَ الجُمُعَةِ التاسعِ والعشرين من شوال سنةِ إحدى وأربعين وثلثمائة. وهو الذي تنسبُ إليه القاهرةُ، فيقال «القاهرةُ المعزيةُ» التي بناها له قائدهُ جوهر. مولده سنة تسع عشرة وثلث مائة، وعاش خمسًا وأربعين سنةً وسبعة أشهر، ومات على فراشه في ربيع الآخر سنة خمسٍ وستين وثلث مائة، ودفن بقرافة مِصْرَ. وضربتِ السِّكَّةُ في عهدِهِ على الدينارِ بِمِصْرَ، فكتبوا على الوجهِ الأوَّلِ: «لا إله إلا اللهُ محمد رسول اللهُ، علي خير الوصيين» وعلى الوجهِ الآخرِ (اسم المعز والتاريخ). وأُعلِنَ الأذانُ بـ«حيِّ على خيرِ العملِ»، ونُودي: «مَن مات عن بنتٍ وأخٍ أو أُختٍ فالمالُ كلُّه للبناتِ»<sup>(١)</sup>.

• العزيزُ باللهِ (أبو منصورٍ نزارٌ) ٣٦٥-٣٨٦ هـ.

• الحاكمُ بأمرِ اللهِ (أبو عليِّ المنصورُ): وُلِدَ في القاهرة سنةَ (٣٧٥هـ)، والدُّتهُ هي (أمُّ وُلْدٍ) تنحدرُ من أسرةِ نصرانيةٍ تذهبُ بنسبها إلى الطائفةِ المالكيةِ القبطيةِ، وكان والدهُ العزيزُ باللهِ قد تزوجها، مفتحًا بذلك عهدًا جديدًا من العاداتِ والتقاليدِ، وقد امتازت

(١) انظر: «مرد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة»: ١/٢٦٨-٢٦٩، «طبقات الحنفية»: ص ٤٢٤، «سير

أعلام النبلاء»: ١٥/١٥٩-١٦٧، «وفيات الأعيان»: ٥/٢٢٤-٢٢٩.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

هذه الزوجة بثقافتها وأهليتها وجمالها ومكانتها في قومها. تولى الخلافةَ بعدَ وفاة والده العزيز بالله سنة (٣٨٦هـ) مباشرة وكان له من العمر إحدى عشرة عامًا. قُتِلَ في ظروف غامضة سنة ٤١١هـ، فتكون مدةُ حكمه (٢٥) عامًا، وعمره ٣٦ عامًا.

• الظاهرُ (أبو الحسنِ عليٍّ) ٤١١-٤٢٧ هـ.

• المُستنصرُ بالله (أبو تميمٍ): تُوفِّيَ سنةَ (٤٨٧هـ)، وبوفاته انقسمتِ الإسماعيليَّةُ الفاطميَّةُ إلى (نزاريةٍ شريقيَّةٍ، ومُستعليَّةٍ غربيَّةٍ)، وسببُ الانقسامِ أنَّ الإمامَ المُستنصرَ قد نصَّ على أن يليه ابنه (نزارٌ) لأنه الابنُ الأكبرُ، لكن الوزيرَ الأفضلَ بنَ بدرِ الجماليِّ نحى نزارًا وأعلنَ إمامةَ (المُستعلي) وهو الابنُ الأصغرُ، وهو أيضًا ابنُ أُختِ الوزيرِ. وقام بإلقاءِ القبضِ على (نزارٍ)، ووضعَه في سجنٍ وسدَّ عليه الجدرانَ حتى مات.

هذا، وقد استمرتِ (الإسماعيليَّةُ الفاطميَّةُ المُستعليَّةُ) تحكُمُ مِصرَ والحجازَ واليمنَ بمساعدةِ الصليحيينَ، أما الأئمَّةُ المُستعليَّةُ فهم:

• المُستعلي (أبو القاسمِ أحمدُ): تولى من ٤٨٧ إلى ٤٩٥ هـ.

• الأمرُ (أبو عليِّ المنصورُ): من ٤٩٥ إلى ٥٢٥ هـ.

• الظاهرُ (أبو المنصورِ إسماعيلُ): من ٥٤٤ إلى ٥٤٩ هـ.

• الفائزُ (أبو القاسمِ عيسى): من ٥٤٩ إلى ٥٥٥ هـ.

• العاضدُ (أبو مُحَمَّدٍ عبدُ اللهِ): من ٥٥٥ هـ حتى زوالِ دولتهم على يدي البطلِ

المجاهدِ (صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ).

■ ثالثًا: الإسماعيليَّةُ الحشَّاشونَ:

■ رابعاً: إسماعيليَّةُ الشام:

■ خامساً: الإسماعيليَّةُ البهريَّةُ:

■ سادساً: الإسماعيليَّةُ الأغاخانيَّةُ:

■ سابعاً: الإسماعيليَّةُ الواقفيَّةُ:

■ الأفكارُ والمعتقداتُ الإسماعيليَّةُ:

- يَرَوْنَ ضرورةَ وجودِ إمامٍ معصومٍ منصوبٍ عليه من الله تعالى، من نسلِ (مُحمَّدِ ابنِ إسماعيلِ بنِ جعفرِ الصَّادِقِ)، على أن يكونَ الابنَ الأكبرَ، وقد حدثَ خروجٌ على هذه القاعدةِ عدَّةَ مراتٍ، وناقضوا عقيدتهم التي يزعمونَ كذباً وزوراً أنها من عندِ الله.

- العصمةُ لديهم ليست في عدمِ ارتكابِ المعاصي والأخطاءِ، بل إنهم يُؤوِّلونَ المعاصي والأخطاءَ بما يُناسبُ معتقداتهم.

- من مات ولم يعرفِ إمامَ زمانه ولم يكن في عُنُقِهِ بَيْعَةٌ له؛ مات ميتةً جاهليَّةً.

- يُضفونَ على الإمامِ صفاتٍ ترفعهُ إلى مقامِ الإلهِ، ويخصُّونه بعلمِ الباطنِ، ويدفعونَ له حُسنَ ما يكسبونَ من الأموالِ.

- يُؤمنونَ بالتَّقيَّةِ والسُّرِّيَّةِ في دينهم ودَعوتهم، ويُطبِّقونها في الفتراتِ التي تشتدُّ عليهم فيها الأحداثُ، وتنكشفُ فيها شناعةُ دينهم وعقائدهم الباطلةِ.

- الإمامُ عندهم هو محورُ الدَّعوةِ الإسماعيليَّةِ، والعقيدةُ تدورُ حولَ شخصيَّتهِ.

- الأرضُ لا تخلو من إمامٍ ظاهرٍ مكشوفٍ أو باطنٍ مستورٍ، فإن كان الإمامُ ظاهراً جازَ أن يكونَ حُجَّتُهُ مستوراً، وإن كان الإمامُ مستوراً فلا بد أن يكونَ حُجَّتُهُ ودُعائه

ظاهرين.

- يقولون بتناسخ الأرواح، والإمام عندهم وارث الأنبياء جميعاً، ووارث كلِّ مَنْ سبقه مِنَ الأئمَّةِ.

- يُنكرون صفاتِ الله تعالى أو يكادون؛ لأنَّ الله - في نظرهم - فوق مُتناولِ العقلِ، فهو لا موجودٌ ولا غيرٌ موجودٍ، ولا عالمٌ ولا جاهلٌ، ولا قادرٌ ولا عاجزٌ، ولا يقولون بالإثباتِ المطلقِ ولا بالنفيِ المطلقِ، فهو - عندهم - إلهُ المُتقابلينِ، وخالقُ المتخاصمينِ، والحاكمُ بين المُتضادِّينِ، ليس بالقديمِ، وليس بالمُحدثِ، فالقديمُ أمرُه وكلمتهُ، والحديثُ خلقه وفطرتهُ.

#### ويتميزُ (البهرة) ببعضِ العقائدِ الأخرى، منها:

- لا يُقيمون الصلاةَ في مساجدِ المسلمين.
- ظاهرهم في العقيدةِ يُشبهُ عقائدَ سائرِ الفرقِ الإسلاميَّةِ المعتدلةِ.
- باطنهم شيءٌ آخرٌ؛ فهم يُصلون ولكن صلاتهم للإمامِ الإسماعيليِّ المستورِ من نسلِ الطَّيِّبِ بنِ الأمرِ.
- يذهبون إلى مَكَّةَ للحجِّ كبقيةِ المسلمينِ لكنهم يقولون: إنَّ الكعبةَ هي رمزٌ على الإمامِ.

■ كان شعارُ الحشَّاشينَ «لا حقيقةَ في الوجودِ وكلُّ أمرٍ مُباحٌ»، ووسيلتهم الاغتيالُ المنظَّمُ، والامتناعُ بسلسلةٍ مِنَ القلاعِ الحصينةِ.

■ يقولُ أبو حامدٍ الغزاليُّ عنهم: «المنقولُ عنهمُ الإباحةُ المطلقةُ، ورفعُ الحجابِ،

أثرُ جهودِ صلاحِ الدينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

واستباحةُ المحظوراتِ واستحلالها، وإنكارُ الشُّرائعِ، إلا أنهم بأجمعهم يُنكرون ذلك إذا نُسبَ إليهم».

■ يعتقدون أن الله لم يخلق العالمَ خلقًا مباشرًا، بل كان ذلك عن طريقِ (العقلِ الكُليِّ) الذي هو محلُّ لجميعِ الصِّفاتِ الإلهيَّةِ ويُسمونه (الحجاب)، وقد حلَّ العقلُ الكليُّ في إنسانٍ هو النبيُّ ﷺ وفي الأئمةِ المستورين الذين يخلفونه، فمُحمَّدٌ هو (الناطقُ) وعليُّ ابنُ أبي طالبٍ هو (الأساسُ) الذي يُفسَّرُ.

### الجنورُ الفكريَّةُ والعقائديَّةُ:

نشأ مذهبهم في العراقِ، ثم فرّوا إلى فارسَ وخراسانَ وما وراءَ النهرِ كالهندِ والتركيستانِ، فخالطَ مذهبهم آراءٌ من عقائدِ الفُرسِ القديمةِ والأفكارِ الهنديَّةِ، وقام فيهم ذوو أهواءٍ في انحرافهم بها انتحلوا من نحلِّ.

اتَّصلوا ببراهمةِ الهندِ والفلاسفةِ الإشراقيينَ والبوذيينَ وما كان عندَ الكلدانينَ والفرسِ من عقائدَ وأفكارٍ حولَ الروحانياتِ والكواكبِ والنجومِ، واختلفوا في مقدارِ الأخذِ من هذه الخرافاتِ، وقد ساعدتهم سرِّيَّتهم على مزيدٍ من الانحرافِ.

بعضهم اعتنقَ مذهبَ مزدكٍ وزرادشتِ في الإباحيَّةِ والشُّيعيَّةِ كالقرامطةِ. ليست عقائدهم مستمدةً من الكتابِ والسُّنَّةِ فقد داخلتهم فلسفاتٌ وعقائدٌ كثيرةٌ أثرت فيهم وجعلتهم خارجينَ عن الإسلامِ.

### الانتشارُ ومواقعُ النفوذِ:

- اختلفتِ الأرضُ التي سيطرَ عليها الإسماعيليونَ مدًّا وجزرًا بحسبِ تقلُّباتِ

أثرُ جهودِ صلاحِ الدينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

الظروفِ والأحوالِ خلالَ فترةٍ طويلةٍ مِنَ الزَّمنِ، وقد غطَّى نفوذُهم العالمَ الإسلاميَّ في صورٍ مُتنوعةٍ تختلفُ باختلافِ الأزمانِ والأحداثِ:

- فالقرامطةُ: سيطروا على الجزيرةِ وبلادِ الشامِ والعراقِ وما وراءَ النهرِ.
- والعُبَيْدِيُّونَ: أسَّسوا دولةً امتدَّتْ مِنَ المحيطِ الأطلسيِّ وشمالِ إفريقيا، وامتلكوا مِصرَ والشامَ، وقد اعتنقَ مذهبهم أهلُ العراقِ وخُطِبَ لهم على منابرِ بغدادَ سنةَ ٥٤٠هـ، ولكن دولتهم زالت على يدِ (صلاحِ الدينِ الأيوبيِّ) رَحِمَهُ اللهُ.
- والآغاخانيةُ: يسكنون نيروبي، ودارَ السلامِ، وزنجبارَ، ومدغشقرَ، والكنغو البلجيكيَّ، والهندَ وباكستانَ وسوريا، ومركزَ القيادةِ لهم في مدينةِ كراتشي بباكستانَ.
- والبهرَّةُ: استوطنوا اليَمَنَ والهندَ والسواحلَ القريبةَ المجاورةَ لهذينِ البلدين.
- وإسماعيليَّةُ الشامِ: امتلكوا قلاعًا وحصونًا في طولِ البلادِ وعرضها، وما تزالُ لهم بقايا في مناطقِ سَلَمِيَّةَ والخوابي والقدموس ومصيف وبنياس والكهف.
- والحشاشونَ: انتشروا في إيرانَ واستولوا على قلعةِ الموتِ جنوبَ بحرِ قزوينَ، واتسعَ سلطنتهم واستقلُّوا بإقليمٍ كبيرٍ وَسَطَ الدولةِ العباسيَّةِ السُّنِّيَّةِ، كما امتلكوا القلاعَ والحصونَ ووَصَلوا بانياسَ وحَلَبَ والمُوصِلَ، ووُلِّيَ أحدهمَ قضاءَ دِمَشقَ أَيَّامَ الصَّلبيينَ وقد اندحروا أمامَ هولاءِ المغوليِّ.
- المكارمةُ: استقروا في نجرانَ.

ويُتَّضحُ مما سبق أنَّ فرقةَ (الإسماعيليَّةِ) في بدايتها كانت إحدى (الفرقِ الشَّيعيَّةِ الرافضيَّةِ)، ولكنها غلَّتْ في أئمتِّها غلًّا أشدَّ من غلِّ الرافضةِ، وتأثرتُ بمؤثراتٍ كثيرةٍ



أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التبرؤية في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

حتى وصل الأمر إلى أن اعتبرتها معظم الفرق الإسلامية كافرةً وخارجةً من الإسلام؛ لما أسبغوه على إمامهم من صفاتٍ تصلُّ به إلى مقام الألوهيَّة، ولقولهم بالتناسخ، وإنكارهم صفاتِ الله سبحانه وتعالى، ولعدم استمدادهم عقيدتهم من «كتاب الله» وصحيح «السنة»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) يُنظر للمراجعة والتوسُّع في دراسة (النحلة الإسماعيلية) المراجع والمصادر التالية:

- تاريخ المذاهب الإسلامية: مُحَمَّد أبو زهرة، الجزء الأول.
- إسلام بلا مذاهب: د. مصطفى الشكعة.
- طائفة الإسماعيلية، تاريخها نظمها عقائدها: د. مُحَمَّد كامل حسين، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩ م.
- دائرة المعارف الإسلامية: مادة الإسماعيلية.
- الملل والنحل: مُحَمَّد عبد الكريم الشهرستاني، الطبعة الثانية دار المعرفة.
- المؤامرة على الإسلام: أنور الجندي.
- تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة: مُحَمَّد عبد الله عنان.
- أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية: برنارد لويس.
- كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة: مُحَمَّد بن مالك اليماني الحمادي.
- فضائح الباطنية: أبو حامد الغزالي.
- الإسماعيلية: إحسان إلهي ظهير.

### نبذة عن سيرة

#### الملك الناصر السلطان صلاح الدين الأيوبي<sup>(١)</sup>

هو يوسف بن أيوب بن مروان بن شاذن الكردي الدويني، السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبو الظفر. وُلِدَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ (٥٣٢هـ/ ١١٣٧م) بقلعة تكريت، ثم رحلَ به والده وعمُّه إلى نور الدين زنكي بالشَّام، حيث كانوا في خدمته جميعًا. ثم كان فتح مصر على يد عمِّه شيركوه الذي عُرف بالشجاعة والأمانة، وقد بادرَ بتنصيب ابن أخيه صلاح الدين رئاسةَ عسكره، فكان دخولهم مصرَ في ثاني جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وخمسمائة (٥٥٩هـ)، وبعدها استطاع صلاح الدين استلام زمام الحكم، وبهذا يكون أول ملوك الأكراد وأول سلاطين مصر من أهل السنة بعد زهاء ثلاثة قرونٍ من الزمان.

(١) اختلف المؤرخون في نسب بني أيوب: هل هم أكراد أم عرب؟ ولكن الملك الأجدد الحسن بن داود الأيوبي ناقش جميع ما قيل في نسب أجداده في كتابه «الفوائد الجليلة في الفوائد الناصرية»، وقطع بأنهم ليسوا أكرادًا، ولكن نزلوا عند الأكراد فُنسبوا إليهم. انظر: (الفوائد الجليلة في الفوائد الناصرية الملك الأجدد مخطوط رقم ٢٢٩٣ دار الكتب المصرية). والراجح أن صلاح الدين من عائلة كردية كريمة الأصل عظيمة الشرف، تنتسب إلى قبيلة كردية تُعدُّ من أشرف الأكراد نسبًا وعشيرةً، وهذه العشيرة تُعرف بالروادية، ويتنسب الأيوبيون إلى أيوب بن شادي، ويعتبرهم ابن الأثير أشرف الأكراد لكونهم لم يجر على أحدٍ منهم رقُّ أبدًا. (انظر: صلاح الدين وجهوده للصلاحي، ص ٢٢٣).

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

تسلَّم صلاحُ الدِّينِ زمامَ السُّلطةِ في العاشرِ من مُحَرَّمِ سنةِ أربعٍ وستينَ وخمسمائةٍ (٥٦٤هـ)، ثم انتهى إليه أمرُ الحكمِ سنةَ سبعٍ وستينَ وخمسمائةٍ (٥٦٧هـ)، وكان باستخلافه زوالَ الدَّولةِ الفاطميَّةِ، وكان على يده فتحُ (بيتِ المقدِّسِ)، فقد عُرفَ عنه الشُّجاعةُ والذِّكاءُ وحبُّ الدِّينِ وإكرامُ أهلهِ، وبغضُ الكفرِ وأهلهِ، وكانت وفاته ليلةَ الأربعاءِ الثامنِ عشرَ لسنةِ تسعٍ وثمانينَ وخمسمائةٍ (٥٨٩هـ).

وكان صلاحُ الدِّينِ شافعيِّ المذهبِ، كثيرَ الذِّكرِ لله تعالى، مواظبًا على الصلاةِ جماعةً، وعلى السُّننِ الرِّواتِبِ، مواصلاً لقيامِ الليلِ، ولم يُحفظْ عنه أنه وجبت عليه الزَّكاةُ، وأما صدقةُ النَّفلِ فإنها استنفذت جميعَ أمواله.

وكان رقيقَ القلبِ، خاشعَ الدِّمعةِ، إذا سمعَ القرآنَ بكى، كثيرَ التعظيمِ لشعائرِ الدِّينِ، عُرفَ بالحلمِ والعِفَّةِ ومكارمِ الأخلاقِ، وكان لا يريدُ الدنيا فجاءته صاغرةً. وقد عُرفَ عنه العدلُ، ناصرًا للضعيفِ على القويِّ، وكان يجلسُ للعدلِ في كلِّ يومِ اثنينٍ وخميسٍ في مجلسٍ عامٍّ يحضرُه الفقهاءُ والعلماءُ، ويفتحُ البابَ للمتحاكمينَ حتى يصلَ إليه كلُّ أحدٍ، وكان يفعلُ ذلكَ سفراً وحضراً.

وكان شجاعاً، قويَّ النَّفسِ، شديدَ البأسِ، مهتماً بأمرِ الجهادِ شديدَ الحرصِ عليه عظيمَ الاهتمامِ به مع احتسابه وصبره عليه.

وكان مؤمناً راضياً بقضاءِ الله تعالى صابراً عليه، وظهرَ ذلكَ جلياً حينما جاءه خبرُ موتِ ولدهِ إسماعيلَ، فما كان منه سوى أن دَمَعَتْ عيناهُ.

وكان محباً للعلمِ شغوفاً به، فسَمِعَ الحديثَ النَّبويَّ منَ الحافظِ السِّلَفيِّ

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

بالإسكندرية<sup>(١)</sup>، كما سمع هو وأولاده «موطأ مالك» من فقيه الإسكندرية الإمام ابن عوف الزهري<sup>(٢)</sup> عام (٥٧٧هـ)، وتلمذ على يد أبي المحاسن يوسف المعروف بابن شداد<sup>(٣)</sup>، وغيرهم من الفضلاء<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(١) هو: الإمام العلامة المحدث الحافظ المفتي شيخ الإسلام: أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو طاهر السلفي الأصبهاني الجرواني، كان إماماً مقرئاً مجوداً محدثاً حافظاً فقيهاً نحوياً ماهراً لغوياً محققاً، ثقة فيما ينقله حجة ثبوتاً، انتهى إليه علو الإسناد، طاف الدنيا ولقي المشايخ؛ وكان يمشي حافياً لطلب العلم والحديث، قدم دمشق وغيرها، وسمع بعدة بلاد، ثم دخل مصر وسمع بها، وولد سنة خمس وسبعين أو قبلها بسنة، واستوطن الإسكندرية وتوفي بها سنة (٥٧٦هـ)، وقد جاوز المائة بخمسين سنين. (انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٢/ ١٤٥، الوافي بالوفيات ٣/ ١-٣).

(٢) هو: الإمام صدر الإسلام شيخ المالكية: إسماعيل بن مكّي بن إسماعيل الزهري، توفي بالإسكندرية سنة (٥٨١هـ). (انظر: سير أعلام النبلاء: ٢١/ ١٢٢).

(٣) هو: الشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة بقیة الأعلام: بهاء الدين أبو العزّ ويقال أبو المحاسن: يوسف بن رافع بن تميم الأسدي الحلبي الأصل والدار الموصل المولد والمنشأ الفقيه الشافعي المقرئ المشهور بابن شداد توفي بحلب سنة (٦٣٢هـ)، وكان من العلماء الملازمين لصلاح الدين وبعض ولده (انظر: المرجع السابق: ٢٢/ ٣٨٣).

(٤) «معجم البلدان»: ٢/ ٤٩١، «الكامل في التاريخ»: ١١/ ٥٤٩، «النوادر السلطانية»: ص ١٠، «مفرج الكروب»: ٢/ ٢١١-٢٤١، «سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٢٧٨، «تتممة المختصر في أخبار البشر»: ٢/ ١٦٠، «النجوم الزاهرة»: ٦/ ١٣٩-١٥٤، «الخطط المقرزية المواعظ والاعتبار»: ٢/ ٢٣٠-٢٤٠، «حسن المحاضرة»: ٢/ ٣٣-٣٥، «الدارس في تاريخ المدارس»: ١/ ١٩-٢١.

### الفصل الأول

## الحياةُ السياسيَّةُ والاجتماعيَّةُ والفكريَّةُ في مِصرَ

### في عصرِ الفاطميينَ

ويشملُ المباحثَ الثلاثةَ التاليةَ:

- المبحث الأول: الحياةُ السياسيَّةُ في عصرِ الفاطميينَ
- المبحث الثاني: الحياةُ الاجتماعيَّةُ في عصرِ الفاطميينَ
- المبحث الثالث: الحياةُ الفكريَّةُ في عصرِ الفاطميينَ

أثرُ جهودِ صلاحِ الدينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

---

---

## المبحثُ الأوَّلُ

### الحياةُ السياسيَّةُ في عصرِ الفاطميينَ

مرَّت الديارُ المِصريَّةُ بأوضاعٍ سياسيَّةٍ مختلفةٍ، تارةً قويَّةً وأخرى ضعيفةً، مرَدُّ ذلك لطبيعةِ الحاكمِ الفاطميِّ ووزيره الذي يُسيِّرُ الأمورَ، ويتَّضحُ ذلك من خلالِ واقعِ الحياةِ السياسيَّةِ السَّائدةِ آنذاك، والتي كان صاحبُ الأثرِ البارزِ فيها الوزيرَ ابنَ كَلَّسٍ<sup>(١)</sup> الذي وضعَ لها كثيرًا من الأسسِ التي سارت عليها الدَّولةُ الفاطميَّةُ في سياستها الداخليَّةِ خصوصًا في النواحي الاقتصاديةِ والسياسيَّةِ، والتي أتقنها أيَّامَ عمله في خدمةِ

(١) هو: يعقوبُ بنُ يوسفَ بنِ إبراهيمَ بنِ هارونَ بنِ كَلَّسٍ، أبو الفرجِ، يهوديٌّ عراقيٌّ، تولَّى الوزارةَ في عهدِ العزيزِ الفاطميِّ، ويُعتبرُ من مؤسسي الدولةِ الفاطميَّةِ، وُلِدَ ببغدادَ، وسافرَ به أبوه إلى الشَّامِ، ثم أنفذه إلى مِصْرَ، فاتصل بكافور الإخشيدِيِّ، فولاه ديوانه بالشَّامِ ومِصْرَ، ووثقَ به فكان يشاورُه في أكثرِ أموره، وقد أسلمَ في أيامِ كافور سنة (٣٥٦هـ)، ثم انتقل إلى المغربِ الأقصى (سنة ٣٦٣هـ) فخدمَ المعزَّ الفاطميَّ العبيديَّ وتولَّى أموره. قال ابنُ تغري بردي ما محصلُه: «لما ماتَ كافورُ، وولِّي الوزارةَ بمِصْرَ جعفرُ بنُ الفراتِ، أساءَ جعفرُ السِّيرةَ، فقبضَ على جماعةٍ وصادرَهم، منهم يعقوبُ بنُ كَلَّسٍ، وهربَ يعقوبُ إلى المغربِ، فكان من أكبرِ أسبابِ حركةِ المعزِّ وإرسالِ جوهرِ القائلِ إلى الديارِ المِصريَّةِ، وفي سنة (٣٦٨هـ) لقبه المعزُّ بالوزيرِ الأجلِّ، ثم اعتقله سنة (٣٧٣هـ) وأطلقه بعدَ شهرٍ، فعادَ إلى القاهرةَ، وفيها العزيزُ ابنُ المعزِّ، فولِّيَ وزارتهُ، وعظُمَت منزلتُه عندهُ، وصنَّفَ كتابًا في الفقهِ على مذهبِ الباطنيَّةِ، يُعرفُ بـ«الرسالةِ الوزيريَّةِ»، أخذَه عن المعزِّ وابنه العزيزِ، وكان يعقدُ المجالسَ في الجامعِ العتيقِ، فيقرُّ المسائلَ الفقهيةَ على حسبِ مذهبيهم، تُوفِّيَ في أيامِ العزيزِ سنة (٣٨٠هـ)، فألحدَه بيدهُ، وأمرَ بإغلاقِ الدواوينِ أيَّامًا بعدهُ، وله أخبارٌ كثيرةٌ». (انظر: وفيات الأعيان: ٧/ ١٣٨ ص ٧٢).

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

كافور الإخشيدى<sup>(١)</sup>.

فكان هذا الوزير علياً بأحوال الريف وغللاته وسائر أحواله الظاهرة والباطنة، حيث عهد إليه المعز الفاطمي بالخراج وجميع وجوه الأموال والحسبة والسواحل والأعشار والأحباس والموارث، وجميع ما يضاف إلى ذلك وما يطرأ في مصر من أعمال، وقد استطاع أن ينظم الدواوين وجعل له الكتبة والموظفين. وفي عهده نعمت البلاد، وامتلا بيت المال بالثروة حتى أن خراج مصر وصل في عهده إلى أربعة ملايين دينار، إلا أن البلاد سرعان ما أصابها الغلاء والمجاعة نتيجة انخفاض النيل<sup>(٢)</sup>.

وقد وقعت خلافات داخلية، وأصاب الوزير ابن كلس مصاعب قبض عليه على إثرها من قبل العزيز، ولكن سرعان ما أطلقه وأعاد لمركزه مكرماً، وزاد نفوذ ابن كلس حتى استولى على حكومة وشؤون العزيز الحاكم الفاطمي<sup>(٣)</sup>، وعظمت منزلته عنده، وأقبلت الدنيا عليه، وبذلك أرسى ابن كلس قواعد الدولة وأساس أمرها. وعين العزيز بعد وفاة ابن كلس النصراني عيسى بن نسطورس<sup>(٤)</sup>، الذي قام

(١) هو: كافور بن عبدالله الإخشيدى، استقر الملك له بمصر سنتين وثلاثة أشهر، توفي سنة (٣٥٧هـ)، وله أخبار مشهورة مع المتنبي الشاعر. (انظر: البداية والنهاية: ١١/٣٨٢).

(٢) «الخطط المقرزية المواعظ والاعتبار»: ١/٣٥٣.

(٣) هو أحد أبرز مؤسسي الدولة الفاطمية بمصر عام (٣٦٥هـ)، وواضع الأسس العامة لها. (انظر: وفيات الأعيان: ٢/١٥٢).

(٤) وزير فاطمي نصراني، تولى الوزارة للعزيز سنة (٣٨٣هـ)، توفي سنة (٣٨٦هـ). (انظر: الخطط =



أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التُّرْبُوِيَّةِ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصْرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

بجمعِ الأموالِ، وأثقلَ الأُمَّةَ بالضرائبِ، وفي عهدهِ تفسَّسَ الغلاءُ، واضطربَ الأمنُ، حتى أنه لم يَجِّحْ أحدٌ في هذه الحُقبَةِ من مِصْرَ، وبلغَ بالناسِ الجوعُ مبلغَه، حتى بلغَ عددُ الموتى مائةً وسبعينَ ألفاً<sup>(١)</sup>.

وأهمُّ ما تميَّزتْ به الحالةُ السِّياسيَّةُ في تلكِ الفترةِ هو ضَعْفُ الحاكمِ بأمرِ اللهِ الفاطميِّ<sup>(٢)</sup> حيثُ كانتِ الأمورُ تخرُجُ دائماً من يدهِ ليدِ الوزيرِ الذي يتصرَّفُ كيفما شاء. وكان لذلكِ الأثرُ الواضحُ في اضطرابِ البلادِ ودخولها في حالةِ الضَّعفِ العامِّ، فقد كَثُرَ القتلُ والسَّرقاتُ والفواحشُ، وهذا ما عليه حالُ الحاكمِ والوزيرِ الفاطميِّ، حتى دخلتِ البلادُ في آخرِ أيامها مرحلةَ الضَّعفِ والانهيارِ نتيجةَ الفسادِ العامِّ والصرِّاعاتِ التي نشبتْ بالبلادِ، إلى أن ثارَ شاورُ<sup>(٣)</sup> على العادلِ<sup>(٤)</sup> واستولى على الوزارةِ منه، وسارَ شاورُ في الحكمِ مسيرةً سيئةً فكان سفاكاً للدِّماءِ منقاداً لوالدهِ الكاملِ<sup>(٥)</sup>.

= المقرئية: المواعظ والاعتبار: ٢/٢٨١.

(١) «الكامل في التاريخ»: ٨/٢٣٠، «الخطط المقرئية المواعظ والاعتبار»: ١/٣٥٥.

(٢) أحدُ أبرزِ الحُكَّامِ الفاطميِّينَ، تولى الخلافةَ سنةَ (٣٨٦هـ)، وتُوفِّيَ سنةَ (٣٨٦هـ). (انظر: وفيات الأعيان: ١٥٣/٢).

(٣) شاورُ بنُ مُجِيرِ السَّعديِّ الهوازنيِّ، أحدُ وزراءِ العاضدِ، تولى سنةَ (٥٦٦هـ)، وتُوفِّيَ سنةَ (٥٦٧هـ). (انظر: الكامل في التاريخ: ١١/١٣٦).

(٤) العادلُ رُزَيْكُ بنُ ضلائعٍ أحدُ وزراءِ العاضدِ تولى الوزارةَ (٥٦٦هـ) وتُوفِّيَ سنةَ (٥٥٨هـ). (السابق).

(٥) الكاملُ والدُ شاورِ بنِ مُجِيرِ السَّعديِّ. (المرجع السابق).

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصْرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

وتمكَّنَ ضرغامٌ<sup>(١)</sup> من طردِ شاورٍ، إلَّا أنه لم يلبثْ في الوزارةِ إلا تسعةَ أشهرٍ عاد بعدها شاور بمساعدةِ جيوشِ نور الدين زنكي، وتعتبرُ الفترةُ التي تولَّى فيها شاورُ وضرغامٌ أسوأَ ما مرَّ بمِصْرَ من أحداثٍ كانت نتيجةً نهايةَ الدَّولةِ الفاطميَّةِ كما وصفها المقرئِيُّ<sup>(٢)</sup> بقوله: «إنَّ البلايا والمنايا من حيثُها تتابعت على دولةِ الخلفاءِ الفاطميِّين، حتى لم يبقَ منهم عَيْنٌ تطرفُ»<sup>(٣)</sup>، ويقصدُ منذُ أن تولَّى شاورُ وضرغامٌ. وانتهى أمرُ الصِّراعِ لشاورٍ، حتى أغرقَ البلادَ في بحرٍ من الفوضى، وأُحرقتِ الفسطاطُ، وانتزعَ الحكمَ منه أسدُ الدينِ عمُّ صلاحِ الدِّينِ، والذي ما لبثَ إلا قليلاً، وتولَّى من بعده ابنُ أخيه صلاحِ الدِّينِ الذي كانت على يديه نهايةُ الدَّولةِ الفاطميَّةِ<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(١) هو: ضرغامُ بنُ عامرٍ اللخميُّ أحدُ وزراءِ العاضدِ، تولَّى الوزارةَ سنةَ (٥٥٨هـ)، تُوفِّي سنةَ (٥٦٧هـ). (المرجع السابق: ١١/١٣٦-١٢٥).

(٢) هو: أحمدُ بنُ عليِّ بنِ عبدِ القادرِ، أبو العباسِ الحُسَيْنِيُّ العبيديُّ المقرئِيُّ، أصلُه من بَعْلَبَك، ونسبُه إلى حارةِ المقارزةِ من حاراتها، وُلِدَ في بالقاهرة سنةَ (٧٦٦هـ)، ونشأَ وماتَ فيها سنةَ (٨٤٥هـ)، وُلِيَ فيها الحسبةَ والخطابةَ والإمامةَ مراتٍ، وأتصلَ بالملكِ الظاهرِ برقوق، ودخلَ دِمَشقَ مع وَلَدِهِ الناصرِ سنةَ (٨١٠هـ)، وعُرِضَ عليه قضاؤها فأبى وعاد إلى مِصْرَ، يُعدُّ شيخَ مؤرخي الإسلامِ، وكتبه هي المصدِرُ الأصيلُ في تاريخِ مِصْرَ الإسلاميَّةِ وخططها وآثارها وأعيانها، درسَ على كبارِ علماءِ عصرِهِ في الفقهِ والحديثِ والتاريخِ، وتأثَّرَ كثيراً بأستاذه المؤرخِ الكبيرِ ابنِ خلدونَ. (انظر: التبر المسبوك في ذيل السلوك للسخاوي، ص ٢١-٢٤، والأعلام: ١/١٧٧).

(٣) «الخطط المقرئية المواعظ والاعتبار»: ١/٢٨٥.

(٤) «الكامل في التاريخ»: ١١/١٤٩، «سيرة صلاحِ الدِّينِ»: ص ٥٢، «الخطط المقرئية المواعظ والاعتبار»: ١/٢٨٦.

## المبحثُ الثاني

### الحياةُ الاجتماعيَّةُ في عصرِ الفاطميينَ

كان عصرُ الفاطميينَ عصرًا زاهرًا بلغت فيه حضارتُهم شأنًا عظيمًا في مجالاتٍ عديدة، منها في البناءِ حيثُ برزت عن غيرها من المَدِينِ الإسلاميَّةِ، مع بروزِ ظاهرةِ البذخِ الفاطميِّ الذي فاقَ كلَّ تصوُّرٍ، كما هو الحالُ في قصرِ الخِلافةِ الذي كان فيه ثلاثون ألفَ نفسٍ منهم اثنا عشرَ ألفَ خادِمٍ، وألفَ فارسٍ وحارسٍ وغيرهم.

وكان حالُ التجارِ مِنَ القِصَّايينَ والصِّبَاجينَ وأصحابِ الحوانيتِ الأخرى مفعمةً بالذَّهَبِ والحُجِيِّ والبضائعِ والأقمِشةِ مِنَ الحريرِ والقَصَبِ لدرجةٍ لا يجدُ المشتري محلاً يجلسُ فيه<sup>(١)</sup>، وهذه الحضارةُ كانت سمةَ القاهرةِ المدينةِ الكبيرةِ التي غصَّت بالمساجِدِ والمنازلِ والأسواقِ والملاهيِّ والمشاهدِ (القبورِ) والقصورِ<sup>(٢)</sup>، وكان الناسُ

(١) «كنوز الفاطميين»: ١٤٦-١٤٧.

(٢) القاهرةُ هي المدينةُ المشهورةُ بجنبِ الفسطاطِ بمِصرَ، يجمعُها سورٌ واحدٌ، وبها دارُ الملكِ، أحدثُها جوهرٌ غلامٌ المعزُّ سعد بنُ إسماعيلَ الملقبِ بالمتصورِ، وهي أجلُّ مدينةٍ بمِصرَ لاجتماعِ أسبابِ الخيراتِ فيها، منها تجلبُ الطرائفُ المنسوبةُ إلى مِصرَ، بها قصرانِ عظيمانِ يقصُرُ الوصفُ دونها عن يمينِ السوقِ وشماله، وليس في شيءٍ من البلادِ مثلها، كان يسكنُها ملوكُها العلويَّةُ الذين انقراضوا، وبها موضعٌ يُسمَّى (القرافة)، بها أبنيةٌ جليئةٌ، ومواضعٌ واسعةٌ، وسوقٌ قائمٌ، ومشاهدٌ للصالحينَ، وهي - أي القرافة - من متنزهاتِ أهلِ القاهرةِ والفسطاطِ لاسيما في المواسمِ، وبها مدرسةُ الشافعيِّ وفيها قبرُهُ.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التُّرْبُوِيَّةِ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصْرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

يعملون نهارًا في القاهرة ويركبون ليلاً إلى بيوتهم بالفسطاط<sup>(١)</sup>.

ومع هذه المظاهرِ حَرِصَ الفاطميُّونَ كلَّ الحرصِ على كسبِ ودِّ المِصْرِيِّينَ على اختلافِ طبقاتهم بواسطةِ كثرةِ الأعيادِ التي كانت سمةً بارزةً في جمعِ الناسِ، والإغداقِ عليهم، لتمريرِ مخططاتهم من خلالها<sup>(٢)</sup>.

وأما الأعيادُ المذكورةُ التي أبرزوها فهي:

- ١ - عيدُ رأسِ السُّنَّةِ. ٢ - عيدُ أوَّلِ العامِّ. ٣ - يومُ عاشوراء. ٤ - عيدُ مَوْلِدِ النَّبِيِّ ﷺ.
- ٥ - عيدُ مَوْلِدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ٦ - عيدُ مَوْلِدِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ٧ - عيدُ مَوْلِدِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
- ٨ - عيدُ مَوْلِدِ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَضِيَ اللهُ عَنْهَا. ٩ - عيدُ مَوْلِدِ الْخَلِيفَةِ الْقَائِمِ بِالْأَمْرِ. ١٠ - عيدُ لياليِ الوُقُودِ: (ليلةُ أوَّلِ رَجَبٍ - ليلةُ نِصْفِ رَجَبٍ - ليلةُ أوَّلِ شَعْبَانَ - ليلةُ النِصْفِ مِنْ شَعْبَانَ). ١١ - عيدُ موسمِ شهرِ رَمَضَانَ. ١٢ - عيدُ غِرَّةِ رَمَضَانَ.
- ١٣ - عيدُ جِبرِ الخَلِيجِ. أو (فتحُ الخَلِيجِ أو وِفاءُ النِيلِ): هو عيدٌ قوميٌّ يَقعُ في آخِرِ يَومٍ مِنْ شَهرِ مِصرِ، وكان كِباقي أعيادهم يمتازُ بكثيرٍ مِنَ الرَونقِ والبِهاءِ. ١٤ - عيدُ يَومِ النِيرُوزِ. ١٥ - عيدُ يَومِ الغِطاسِ. ١٦ - عيدُ المِيلادِ. ١٧ - عيدُ النِصرِ. ١٨ - عيدُ خَميسِ العَهدِ. ١٩ - عيدُ الشَهِيدِ. ٢٠ - عيدُ الغَديرِ. ٢١ - عيدُ سِجِنِ يَوسُفَ. ٢٢ -

(١) «القاهرة»: ٤٢٣/٣.

(٢) إنَّ ظاهرةَ الازدهارِ كانت في البِناءِ دونَ غيرِه بَيدَ أنَّ الانحطاطَ كان مُتَفَشِّيًا في سائرِ الجِوانِبِ الأخرى.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصْرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

عيد الأحد. ٢٣ - عيد الفطر. ٢٤ - عيد الأضحى (١).

وكانت هذه الأعيادُ تبرزُ مظاهرَ الحياةِ الاجتماعيَّةِ واضحةً، مع بروزِ ظاهرةِ التَّرفِ والانحرافِ والبذخِ كما في (يومِ عاشوراء) حيثُ ينحرون الإبلَ والبقرَ والغنمَ عندَ (مَشْهَدِ الحُسَيْنِ) (٢)، ومنَ المعلومِ أنَّ هذا النوعَ مِنَ النَّحرِ هو مِنَ الدَّبْحِ عندَ النَّصبِ المحرَّمِ شرعاً، ولعلَّه يبلغُ بصاحبه إلى الشَّرِكِ والعيادُ بالله.

وتظهرُ بدعةُ الاحتفالِ في (يومِ النيروز)، حيثُ يقولُ فيه المقرئُ: «وقد كان بِمِصْرَ في الأيامِ الماضيَّةِ والدَّولةِ الحاليَّةِ - يعني الخلفاءِ الفاطميِّين - من مواسمِ بطالاتهم ومواقيتِ ضلالتهم، وكانت المنكراتُ ظاهرةً، والفواحشُ صريحةً في يومه [أي يومِ النيروز]، ويتجمُّعُ المؤثنون والفاسقاتُ تحتِ قصرِ اللؤلؤة، بحيثُ يُشاهدُهنَّ الخليفةُ، وبأيديهنَّ الملاهي، وترتفعُ الأصواتُ، وتُشربُ الخمرُ بينهم وفي الطُّرقاتِ، وبتراشِ الناسِ بالماءِ والخمرِ، وبالماءِ ممزوجاً بالأقذار» (٣).

(١) «الخطط المقرئية المواعظ والاعتبار»: ٣٨٩ / ٢، «النجوم الزاهرة»: ٩٤ - ٩٥ / ٤، «صبح الأعشى»: ٤٩٨ - ٤٩٩ / ٣، «وفيات الأعيان»: ٤٤٨ / ٢، «الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري»: ٢ / ٢١٥، «مِصْرُ في العصور الوسطى»: ص ٥٢٧، «أخبار مِصْرَ»: ص ٥٨، «مذكرة الحضارة الإسلامية» ص ٢٣، «نُظْمُ الفاطميِّين ورُسُوْمُهُم في مِصْرَ»: ١٢٩ / ٢، «مِصْرُ في عصرِ الدَّولةِ الفاطميَّةِ»: ص ٢٠٥، «تاريخِ الدَّولةِ الفاطميَّةِ»: ص ٦٥١.

(٢) «تاريخِ الدَّولةِ الفاطميَّةِ»: ص ٦٥٥.

(٣) «الخطط المقرئية المواعظ والاعتبار»: ١ / ٢٦٧.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

وأما (عيدُ الشَّهيدِ) فيقولُ المقرئُ فيهِ: «ويُخرَجُ عامَّةُ أهلِ القاهرةِ ومِصرَ على اختلافِ طبقاتِهِم، وينصبون الخيمَ على شطوطِ النيلِ وفي الجزائرِ، ولا يبقى مُغَنٍّ ولا مغنيَّةٌ ولا صاحبٌ هو ولا بغيٌّ ولا مُحَنَّتٌ ولا ماجنٌ ولا خليعٌ ولا فاسقٌ إلا ويُخرَجُ لهذا العيدِ، فيجتمعُ عالمٌ عظيمٌ». ثمَّ يقولُ المقرئُ: «وسارَ السفراءُ يقودُهُمُ الوزيرُ شاوَرُ نفسه إلى قصرٍ له رونقٌ وبهجةٌ، وفيه زخارفٌ أنيقةٌ، وكان هؤلاء المبعوثون متأثرين بما حوَّهم، فوجدوا في القصرِ حرَّاسًا لا يحصيهِمُ إلا خالقُهُم، وتصرفُ أموالٌ لا تنحصُرُ ويتجاهرُ هناك بما لا يُتحمَلُ مِنَ المعاصي والفسوقِ»<sup>(١)</sup>.

أمَّا عن ترفِ القصورِ وأصحابِها؛ فقد كانوا فيه سواءً، مع المباهاةِ والتنافسِ فيما بينهم<sup>(٢)</sup>.

وفي هذه الأعيادِ يسيرُ حراسُ الخليفةِ في طليعةِ الموكبِ، وسيوفُهُم مسلولةٌ، وقادوا السفراءَ في ممراتٍ طويلةٍ، ثم وصلَ الموكبُ إلى فناءٍ مكشوفٍ، وكان وَسَطُ هذا الفناءِ نافورةٌ يجري الماءُ الصافي منها في أنابيبٍ مِنَ الذَّهَبِ والفضةِ، ودخلَ السفراءُ في قاعةٍ واسعةٍ، تقسمُها ستارةٌ كبيرةٌ من خيوطِ الذَّهَبِ والحريِرِ المختلِفِ الألوانِ، ثم ارتفعتِ الحبالُ فجأةً وانكشفتِ الستارةُ الحريريَّةُ الذهبيَّةُ، ثم يظهرُ الخليفةُ على عرشِ

(١) «الخطط المقرئية المواعظ والاعتبار»: ١/ ١٢٢.

(٢) كما يحدثُ الآنَ في كثيرٍ مِنَ المجتمعاتِ الإسلاميَّةِ من (مهرجاناتِ سنويَّةٍ)، يُدعى إليها أصحابُ الغناءِ واللهم من أنحاءِ العالمِ، ولا يبقى بغيٌّ ولا مُحَنَّتٌ ولا ماجنٌ ولا خليعٌ ولا فاسقٌ إلا ويحضرُها.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدينِ الأيوبيِّ التَّبويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصْرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

مِنَ الذهبِ مُرَّصِعٍ بالجواهرِ والأحجارِ الثمينةِ<sup>(١)</sup>.  
ويظهرُ أنَّ الحاكمَ الفاطميَّ استباحَ أمورًا فاقت كلَّ تصورٍ مِنَ التَّرفِ، فله قاعةٌ  
مِنَ الذهبِ الخالصِ، وله بناءُ المناظرِ، فضلًا عن مجالسِ الغناءِ والموسيقى، ومجالسِ  
شُرْبِ الخُمورِ، ومجالسِ الطَّعامِ والشَّرابِ<sup>(٢)</sup>.  
ويُلاحظُ أنَّ حُكَمَ الفاطميِّينَ لمِصْرَ - الذي امتدَّ زهاءَ ثلاثةِ قرونٍ مِنَ الزمانِ -  
قد ساءت فيه أحوالُ الشَّعبِ، وكثرتِ المجاعاتُ والمِحَنُ، وقلَّتِ المواردُ، وكثرتِ  
الصُّرائبُ والمصادراتُ، والشَّعبُ في بُؤسٍ وشقاءٍ وجهلٍ وانحرافٍ قد حلَّ بهم من  
كثرةِ الأنظمةِ والقوانينِ والأعيادِ في هذه الحُقبةِ العصيبةِ، بينما القصرُ الفاطميُّ كان مليئًا  
بالتَّحفِ والذهبِ والأموالِ<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) «وفيات الأعيان»: ٤٤٨/٢، «الخطط المقرزية المواعظ والاعتبار»: ٣٨٥-٣٨٦.

(٢) «الخطط المقرزية المواعظ والاعتبار»: ٢٨٧/٢، ٤٦٥/١، ٣٧٩/٢.

(٣) «ظهر الإسلام»: ١٣٧/٤، «تاريخ الشعوب الإسلامية»: ٨١/٢.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

---

---



### المبحث الثالث

## الحياة الفكرية في عصر الفاطميين

قامت الخلافة الفاطمية ومن أهم أهدافها القضاء على الخلافة السنية، ونشر المذهب الشيعي. وكان الصراع عنيفاً بين الخلافتين، استعمل فيه كل سلاح يمكن استعماله، ومن الأسلحة والأساليب التي استعان بها الفاطميون وبرعوا فيها: سلاح العلم والأدب والثقافة، إذ إن مذهبهم الشيعي الذي يخالف المذهب السني كان في حاجة إلى الدعوة وكسب المؤيدين في أنحاء العالم الإسلامي وفي مصر خاصة، والوقوف في وجه علماء السنة الذين قاموا بمحاولات مضادة لإبطال آراء الفاطميين. وكانت المعركة الفكرية هي الأساس، إذ استعملت فيها الأموال الكثيرة لتنفيذ المآرب، فأصبحت القاهرة في عهدهم مركز إشعاع للعلوم والفنون المختلفة<sup>(١)</sup>. فكان الاهتمام على مستوى الدولة لنشر ودعم الحركة الفكرية. فالوزير ابن كلثوم - اليهودي الذي أسلم في أيام كافور، وهو أول وزراء الدولة الفاطمية - كان له الكثير من المؤلفات منها كتاب في القراءات، وكتاب في علم الأبدان، وكتاب في الفقه الإسماعيلي، وآخر في آداب الرسول ﷺ. ومن أشهر كتبه كتاب «مختصر الفقه» المعروف بـ«الرسالة الوزارية»، ضمنه ما

(١) «الخطط المقرزية المواعظ والاعتبار»: ١ / ٣٥٠ - ٢٦٠.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصْرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

سمِعُهُ مِنَ الْمُعزِّ الفاطميِّ وولَدِهِ العزيرِ، وقد بلغَ من قيمةِ هذا الكتابِ أنَّ الظَّاهِرَ طلبَ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَحفظوه، ورَتَّبَ رِزقًا لكلِّ مَنْ يَحفظُهُ، كما كان القضاءُ والنَّاسُ يفتون بِمَا فيه، كما وصفَهُ المقرئِيُّ: «وهو مَبوَّبٌ على أبوابِ فقهِ الطَّائفةِ الإسماعيليَّةِ»<sup>(١)</sup>.

وألَّفَ أبو شجاعِ الوزيِّرُ<sup>(٢)</sup> كتابَ «مواردِ البيانِ في ترتيبِ الكتابِ للدولةِ الفاطميَّةِ»، وقد حاولَ أن يجعلَ للكتابةِ قوانينَ ويُعَدِّ لها القواعدَ، ونقلَ عنه القلقشنديُّ<sup>(٣)</sup> في كتابه «صُبْحِ الأَعشى» عندَ الحديثِ عن نُظُمِ ديوانِ الرِّسائلِ في العصرِ الفاطميِّ<sup>(٤)</sup>.

وكانَ الاهتمامُ - كبيرًا من جانبِ الخلفاءِ والوزراءِ والقضاةِ - على نشرِ المذهبِ على أوسعِ نطاقٍ وبينِ مختلفِ طبقاتِ الشَّعبِ، وذلكَ بتشجيعِ نَسْخِ الكُتُبِ وجمعِ النَّادرِ منها، وإنشاءِ المكتباتِ، وإلقاءِ الدُّروسِ في المساجدِ، وإنشاءِ المدارسِ. ولما كانتِ المساجدُ في العالمِ الإسلاميِّ هي مراكزُ العلمِ؛ نَجِدُ أنَّ الفاطميينَ استخدموها في نشرِ العُلومِ كما فعلوا في (الجامعِ الأزهرِ) وهو أولُ مسجدٍ لهم، حيثُ أعدُّوه كجامعةٍ علميَّةٍ مرفودةٍ بالمالِ والاهتمامِ البالغِ على جميعِ المستوياتِ، وذلكَ

(١) «الخططُ المقرئيةُ المواعظُ والاعتبار»: ٤٠١/١.

(٢) هو: مُحَمَّدُ بْنُ الأَشرفِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عليِّ بنِ خلفِ، تولَّى الوزارةَ سنةَ (٤٥٧هـ) في خلافةِ المستنصرِ. انظر: تاريخ ابن ميسرة: ص ٢٥، كشف الظنون: ٣/٢١٠.

(٣) هو: شهابُ الدِّينِ أحمدُ بنُ عليِّ القلقشنديِّ، وُلِدَ سنةَ (٧٥٦هـ) بِمِصْرَ، وكانت وفاته سنةَ (٨٢١هـ).

(٤) «الخططُ المقرئيةُ المواعظُ والاعتبار»: ٤٠٢-٣٩٩/١.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

لإنجاحِ مقاصدِهِم ونشرِ دعوتِهِم.

فوجدُ أنَّ الوزيرَ ابنَ كلِّسٍ قد ركَّزَ تركيزًا تامًّا على قيامِ الدِّراساتِ المنتظمةِ للفقهِ الإسماعيليِّ في (الجامعِ الأزهرِ)، وعيَّنَ جماعةً مِنَ الفقهاءِ عدَّتُهُم خمسةٌ وثلاثونَ نفرًا، وكانوا يتحلَّقونَ في (الأزهرِ) بعدَ الصلاةِ يومَ الجُمُعَةِ ليتدارسوا الفقهَ الإسماعيليَّ إلى وقتِ صلاةِ العصرِ. ومنَ شدَّةِ العنايةِ بـ(الجامعِ الأزهرِ) ابتنى ابنُ كلِّسٍ دارًا بجانبِ الأزهرِ، أجرى عليها الأرزاقَ مِن مالِهِ الخاصِّ، وكانت مخصَّصةً للطلَّابِ والمدرسينَ. وقد جلسَ للتدريسِ بالأزهرِ قاضي القضاةِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ النعمانِ<sup>(١)</sup>، وقرأ مختصرَ أبيهِ في الفقهِ، وهو مختصٌّ بفقهِ الشَّيعَةِ الإسماعيليَّةِ. وهكذا نشأ الأزهرُ جامعةً انتظمت فيها الدراسةُ وفقَ النظامِ الداخليِّ<sup>(٢)</sup>.

ومنَ المساجدِ التي اتَّخَذتْ مراكزَ علميَّةً (مسجدُ عمرو بنِ العاصِ)، فقد صُلِّتْ فيه الجُمُعَةُ، وحُطِبَ فيه للمُعزِّ سنةَ (٣٥٨هـ)، ودعا الخطيبُ فيها للخليفةِ الفاطميِّ بقوله: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَبْدِكَ وَوَلِيِّكَ ثَمرةَ النُّبُوَّةِ وسليلِ العزَّةِ الهاديَةِ المهديَّةِ عبدِ اللَّهِ الإمامِ معدِّ أبي تميمٍ المعزِّ لدينِ اللَّهِ أميرِ المؤمنينَ، كما صُلِّتْ على آبائِهِ الطَّاهرينَ».

(١) هو: قاضي مِصرَ أبو الحسنِ عليُّ بنُ النعمانِ بنِ محمدِ بنِ حَيَّوَنَ المغربيِّ، يقضي بفقهِ العُبيديَّةِ كأبيه النعمانِ أبي حنيفةَ بنِ حَيَّوَنَ، ولم يزلْ بارتقاءً عندَ العزيزِ إلى وفاته سنةَ (٣٧٤هـ). (انظر: الكامل في التاريخ ٢٢٠/٨، يتيمة الدهر ١/٣٨٤-٣٨٥، الوفيات ٥/٤١٧، حسن المحاضرة ١/٥٦١ و٢/١٤٧).

(٢) «وفيات الأعيان»: ٤٤١/٢، «الخطط المقرزية المواعظ والاعتبار»: ١٥٦/٢، «القاهرة»: ٥٢٤/٣، «تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي»: ص ٤٣.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصْرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

وفي سنة (٣٥٩هـ) زادوا - بهذا الجامع - في الأذانِ جُملةً: «حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ». وفي رمضانَ من نفسِ العامِ نُقِشتْ جُدرانُ الجامعِ باللونِ الأخضرِ شعارِهِم<sup>(١)</sup>. وقد نقلوا كذلك الخُطبةَ والدروسَ إلى باقي المساجدِ في مِصْرَ.

والملاحظُ أنَّ الفاطميينَ لم يهتموا فقط بالمساجدِ لنشرِ دَعوتِهِم، بل عمدوا إلى نشرِها من خلالِ مؤسساتِ تربويَّةٍ أخرى، كما فعلوا بـ«دارِ الحكمة» والتي كانت من أبرزِ مؤسساتِهِم التَّربويَّةِ على الإطلاق، وقد أنشأها الحاكمُ الفاطميُّ سنة (٣٩٥هـ) لتكونَ جامعةً تضمُّ عدَّةَ حلقاتٍ وكلياتٍ علميَّةٍ، فقد عيَّن فيها كبارَ الأساتذةِ مِن كُلِّ علمٍ وفنٍّ، وجمعتَ لها من خزائنِ القصرِ مجموعاتٍ عظيمةً من الكُتبِ في سائرِ العلومِ والفنونِ، ورُصدتِ الأموالُ الكثيرةُ للإِنفاقِ عليها وعلى الأساتذةِ والموظفينَ والخدمِ، ودعمَها الحاكمُ بجزءٍ من ربحِ أملاكه، وأفردتُ للنساءِ فيها مجالسُ خاصَّةً للتعليمِ<sup>(٢)</sup>. وألحقَ الحاكمُ بـ«دارِ الحكمة» «المَحْفَلَ الأكبرَ» الذي كان يتلقَى فيه المدعوونَ سِرَّ المذهبِ الإسماعيليِّ، وكان هذا المحفلُ يُعقدُ يومي الإثنينِ والأربعاءِ مِن كُلِّ أسبوعٍ برئاسةِ داعي الدُّعاةِ، وكانت تحضُّره النساءُ<sup>(٣)</sup>.

ومن خلالِ ما تقدَّم يظهرُ جلياً أنَّ الدُّعوةَ الإسماعيليَّةَ تُدارُ على نسقِ الجمعياتِ

(١) «الخطط المقيزية المواعظ والاعتبار»، «الفاطميون في مِصْرَ»: ص ١٢٠.

(٢) «الخطط المقيزية المواعظ والاعتبار»: ١٤٧/٢.

(٣) المرجع السابق: ١٤٨/٢.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصْرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

السَّريَّةِ في مراتبَ متدرِّجةٍ وبلقاءاتٍ سريَّةٍ.

وبلغَ من اهتمامهم بنشرِ الدَّعوةِ أن أنشأوا «مكتبةَ القصرِ»، التي احتوت على مائتي ألفِ مجلِّدٍ، وهذا يدلُّ على شدَّةِ اهتمامِ الخلفاءِ الفاطميِّين بنشرِ مذهبهم من خلالِ الدُّورِ والمؤسَّساتِ العلميَّةِ.

فقد أنشأ الوزيرُ والحاكمُ دُورَ الكُتبِ والمطالعةِ لنشرِ كُتبهم، وفي عصرِ الظَّاهرِ سنةَ (٤١١هـ) أُخْرِجَ مَنْ كان بِمِصْرَ مِنَ الفقهاءِ المالكيَّةِ، وشدَّدوا الأمرَ على الناسِ وألزموهم أن يحفظوا كتابَ «دعائمِ الإسلامِ» وكتابَ «مختصرِ الوزيرِ»، وجعلوا لمن يحفظه مالاً<sup>(١)</sup>.

هكذا كانتِ الحياةُ الفكريَّةُ حافلةً بالنَّشاطِ والسَّعيِ الحثيثِ لنشرِ المذهبِ الفاطميِّ الإسماعيليِّ، من خلالِ المؤسَّساتِ التَّربويَّةِ مِنَ المساجِدِ والمكتباتِ والجامعاتِ المُنظَّمةِ، وغيرها مِنَ الوسائلِ الأخرى التي اعتمدوا عليها في تدعيمِ دولتهم ونشرِ مذهبهم.

\*\*\*

(١) «الكامل في التاريخ»: ٣٢ / ٩، «الخطط المقرئية المواعظ والاعتبار»: ١٣ / ٢ - ١٤٥.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

---

---

## الفصل الثاني

### المؤسساتُ التَّربويَّةُ بمِصرَ في عصرِ صلاحِ الدِّينِ

ويشملُ المباحثَ التَّاليةَ:

- تمهيدٌ.

- المبحثُ الأوَّلُ: أنواعُ المؤسساتِ التَّربويَّةِ

- المبحثُ الثاني: تمويلُ المؤسساتِ التَّربويَّةِ

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

---

---



## تمهيدٌ

### المؤسساتُ التَّربويَّةُ بمِصرَ في عصرِ صلاحِ الدِّينِ

اهتمَّ الفاطميُّونَ بالمؤسَّساتِ التَّربويَّةِ لنشرِ مذهبِهِم، وبرزَ ذلكَ من خلالِ الاهتمامِ بالصَّبيانِ، وإقامةِ أماكنٍ للتدريسِ لهم تُسمَّى «مكاتبَ الصَّبيانِ»<sup>(١)</sup>. وأما المدارسُ فقد كانت بارزةً من خلالِ دورِ العلمِ التي خُصِّصَتْ لها وَقْفًا من أملاكٍ وعقاراتٍ، وألحِقَتْ بها المكاتبُ. وكانت تلكَ المدارسُ مخصَّصةً لتدريسِ المذهبِ الإسماعيليِّ الشَّيعيِّ<sup>(٢)</sup>، حيثُ كانت أشبهَ بجامعةٍ خاصَّةٍ لهم. وهناك المساجدُ التي كان من أبرزها (الجامعُ الأزهرُ) الذي أُعِدَّ خصيصًا وأُنْخِذَ لنشرِ المذهبِ الشَّيعيِّ، حيثُ خُصِّصَ فيه أماكنٌ للتدريسِ، ومسكنٌ للمُعَلِّمينَ والطلَّابِ، وأقِفَتْ عليه الأوقافُ الكافيةُ لذلكِ<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أنَّ الاهتمامَ بالتعليمِ عندَ الفاطميِّينَ انصبَّ على التعليمِ الدِّينيِّ المذهبيِّ بتبنيِّ المذهبِ الشَّيعيِّ، أمَّا في عصرِ صلاحِ الدِّينِ فقد اعتنى هو والأمرأءُ بإنشاءِ المؤسَّساتِ التَّربويَّةِ، وساهمَ كذلكَ في إنشائها العديدُ منَ التُّجارِ والقضاةِ والعلماءِ

---

(١) «المقدمة» - لابن خلدون - : ص ٤٨٨، «الخطط المقرئية المواعظ والاعتبار»: ٢ / ٣٤٢.

(٢) «الخطط المقرئية المواعظ والاعتبار»: ٢ / ٢٥٢ - ٣٣٤.

(٣) المرجع السابق: ٢ / ٣٥٢ - ٣٧٥.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

والوزراءِ والنساءِ، وكانت أغلبُ هذه المدارسِ تُنسبُ إلى مؤسِّسيها وواقفيها، وبعضُها تُنسبُ إلى المدرسينَ أو إلى اسمِ بعضِ الأماكنِ المعروفةِ.

أمَّا دوافعُ وبواعثُ إنشاءِ هذه المؤسساتِ فهي: الحدُّ والقضاءُ على المذهبِ الشيعيِّ عامَّةً والفاطميِّ الإسماعيليِّ خاصَّةً ومقاومتهُ، والعملُ على استعادةِ ونشرِ مذهبِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ بمدارسه الفقهيةِ، ومحبةِ العلمِ.

وظهر عصرُ صلاحِ الدِّينِ مُزدهراً بالمؤسساتِ التَّربويَّةِ التي قامَ بإنشائها، وشجَّعَ على إنشائها، وأوقفَ لها الوقفَ اللازمَ، وأحبَّ العلمَ والعلماءَ وقرَّبهم إليه.

وقد أرادَ بذلكَ التأثيرَ في واقعِ الحياةِ السياسيَّةِ والاجتماعيَّةِ والفكريَّةِ من خلالِ التَّوعيةِ المُتوقَّدةِ القادمةِ بفعلِ تلكِ المؤسساتِ التَّربويَّةِ، وكانت نتيجةُ ذلكَ أنه أحدثَ انقلاباً فكرياً في واقعِ الحياةِ الاجتماعيَّةِ؛ بتربيةِ جيلٍ مُتميِّزٍ ومجتمعٍ صالحٍ، يرغبُ في طاعةِ اللهِ سبحانهُ وتعالى، ومراعاةِ أمره ونهيه من خلالِ تلكِ التَّربيةِ.

\*\*\*

## المبحثُ الأولُ

### أنواعُ المؤسساتِ التَّربويَّةِ في عصرِ صلاحِ الدينِ

#### \* أولاً: المساجدُ:

كانتِ الحياةُ في المجتمعِ المسلمِ تدورُ حولَ المسجدِ، إذ كان يُشكِّلُ المحورَ الهامَّ في جميعِ أشكالِ النِّشاطِ الاجتماعيِّ، إذ كانتِ المساجدُ أماكنَ للعبادةِ والقضاءِ والتدريسِ ومأوىً لابنِ السَّبيلِ والغرباءِ. ومن هذا المرتكزِ انطلقَ صلاحُ الدينِ متخذاً مِنَ المساجدِ مؤسَّسةً تربويَّةً تؤدِّي دورَها.

اتَّخذَ صلاحُ الدينِ مِنَ المساجدِ مراكزَ للعلمِ، وذلك بعدَ إغلاقِ (الجامعِ الأزهرِ) مباشرةً - والذي كان يُشكِّلُ رمزاً للدَّعوةِ الفاطميَّةِ - خشيةً أن يتعلَّقَ الناسُ به وإيذاناً منه بتغييرِ الواقعِ تغييراً شاملاً، فجمَّدَ دورَ (الجامعِ الأزهرِ) التَّربويِّ، ونقلَ الخطبةَ مِنْه وجعلَها في (مسجدِ ابنِ طولون) الذي سارَ بعدَ ذلك مأوىً للطلَّابِ والمُدَّرسينَ.

وقد اعتنى صلاحُ الدينِ بكُلِّ المساجدِ وحوَّها إلى مؤسَّساتٍ تربويَّةٍ تؤدِّي دورَها التَّربويِّ من خلالِ التدريسِ، وبيَّن ذلك ابنُ جُبَيْرٍ بقوله: «وما من جامعٍ مِنَ الجوامعِ ولا مسجدٍ مِنَ المساجدِ ولا مدرسةٍ مِنَ المدارسِ إلا وفضلُ السُّلطانِ يعمُّ جميعَ مَنْ يأوي إليها ويلزمُ السُّكنَ فيها»<sup>(١)</sup>. ويقولُ أيضاً: «إنَّ كلَّ مسجدٍ بناه أو مدرسةٍ؛ يُعيَّن لها السُّلطانُ صلاحُ الدينِ أوقافاً تقومُ بها وساكنيها والمتزمنينَ بها»<sup>(٢)</sup>.

(١)، (٢) «المقدمة» - لابنِ خلدون - : ص ٤٨٨، «الخطط المقرئية المواعظ والاعتبار»: ٣٤٢/٢.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

وهكذا أعادَ صلاحُ الدِّينِ للمسجدِ دورَه التَّربويَّ ضمنَ إطارِ التَّغييرِ الشَّامِلِ لمحاربةِ ومكافحةِ المدِّ الشَّيعيِّ الذي اكتسحَ مِصرَ فترةً منَ الزَّمنِ.

#### • ثانياً: الكتابُ:

اهتمَّ صلاحُ الدِّينِ بالصَّغارِ، ولأهمَّيتهم في المجتمعِ الإسلاميِّ عملَ على فتحِ وبناءِ الكتابيِّبِ لهم، وهذا ما نقله ابنُ جُبَيْرٍ بقوله: «كان كلُّ تلميذٍ بِمِصرَ يلقى مسكناً يأوي إليه، ومُدْرَساً يعلمُه الفنَّ الذي يريدُ تَعَلُّمُه، وإجراء يقومُ به في جميعِ أحواله». ويقولُ: «إنَّ من مآثرِ صلاحِ الدِّينِ الكريمةِ أنه أمرَ بعمارةِ محاضرٍ، وهي الأماكنُ التي يدرسُ فيها الطُّلابُ، ألزمها مُعلِّمينَ لِكِتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، يعلمونَ أبناءَ الفقراءِ والأيتامَ خاصَّةً، وتجري عليهمُ الجرايةُ الكافيةُ لهم»<sup>(١)</sup>.

لقد أيقنَ صلاحُ الدِّينِ أنَّ (الكتَّابِ) مؤسَّسةً تربويَّةً ومُنظَّمةً مهمَّةً تلعبُ دوراً مهمَّاً في تربيةِ وإعدادِ أطفالِ المسلمين؛ لأنَّ ذلكَ عندهُ أساسُ النهضةِ العلميَّةِ، بالعودةِ إلى الأصولِ والقضاءِ على المدِّ الشَّيعيِّ بِمِصرَ.

وقد اعتمدَ صلاحُ الدِّينِ مبدأً تكافؤِ الفرصِ التَّعليميَّةِ، الذي كان له أثراً بارزاً؛ إذ لم يجعلِ التَّعليمَ في الكتَّابِ محصوراً في أبناءِ طبقةٍ مُعيَّنة، بل جعله لكافةِ شرائحِ المجتمعِ. وبهذا يكونُ صلاحُ الدِّينِ قد سارَ بِخُطَّةِ تغييرٍ شاملَةٍ في مجالِ المؤسَّساتِ التَّربويَّةِ من أجلِ إعدادِ الأُمَّةِ وبنائها.

(١) «الرحلة»: ص ٢٥-٤٢، «الخطط المقرئية المواعظ والاعتبار»: ٣٦٦/٢.

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

### \* ثالثاً: المدارس:

كان للمدارس خصائص تميّزها عن غيرها من المؤسسات الأخرى من حيث استقلال البناء، وتخصيص الوقف اللازم لها، والنظام الداخلي، والأقسام الملحقة بها وإدارتها، ورواتب المدرّسين، والطلبة، ومعايير القبول.

وقد اهتم صلاح الدين ووزراؤه والعلماء والأمرأ والتجار والقضاة ووجهاء الناس بالمدارس؛ فقدّموا المال اللازم لبنائها وتأثيثها، وخصّصوا الوقف اللازم لها، والذي كان يُصرف بدوره على المدرّسين والطلاب في المدرسة، وكان الطلاب يُقدّم لهم الرواتب الشهريّة، والمأكل والمشرب والمسكن المجاني؛ وذلك لضمان ديمومة هذه المدارس بعد وفاة مؤسسها.

وكان للمدرسة أهميّة تجعلها مؤسسةً مستقلة بارزة في نظامها التربوي الذي يختلف عن باقي المؤسسات التربويّة؛ فقد كانت الدراسة في المدرسة منظمّة، فالطالب مُستقرّ في مكانٍ واحدٍ لمدةٍ طويلة، يستطيع من خلالها التزوّد بالعلم الوافر من غير عناءٍ وتكليفٍ، فضلاً عن تنوع المناهج الدراسيّة، من فقهٍ وتفسيرٍ وعقيدةٍ وحديثٍ ولغةٍ وشعرٍ وغيرها، مما جعل المدرسة تؤدّي رسالتها التربويّة على أحسن وجهٍ.

ومن هذا المنطلق اهتم صلاح الدين ببناء المدارس وشجّع عليها، وعمل على انتشارها بكافة السبل، فوجد الكثير من هذه المدارس، وكان من أبرزها:

١ - المدرسة الناصريّة: أنشأها السلطان صلاح الدين على أصول المذهب

الشافعيّ، بجوار قبر الإمام الشافعيّ بالقرافة عام (٥٧٢هـ)، وقد تولّى التدريس بها:

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

ابن زَيْن التُّجَّارِ، وابنُ الوزَّانِ، وكمالُ الدينِ أحمدُ بنُ شيخِ الشيوخِ، والشريفُ القاضي شمسُ الدينِ أبو عبد الله مُحَمَّدُ بنُ الحُسَيْنِ بنِ مُحَمَّدٍ<sup>(١)</sup>.

٢ - المدرسةُ القمحيةُ: أنشأها أيضًا صلاحُ الدينِ قُربَ مسجدِ عَمْرِو بنِ العاصِ، وأوقفها على فقهاءِ المالكيةِ<sup>(٢)</sup>.

٣ - المدرسةُ السيوفيةُ: أنشأها صلاحُ الدينِ، ودرَّسَ بها مجدُّ الدينِ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ، وعُرفتْ بالسُّيوفيةِ من أجلِ سوقِ السُّيوفِ، وهي أولُ (مدرسةٍ حنيفةٍ) أوقفَتْ لهم<sup>(٣)</sup>.

٤ - المدرسةُ الناصريةُ بالقرافة: أنشأها صلاحُ الدينِ، وأوقفها على فقهاءِ الشافعيةِ<sup>(٤)</sup>.

٥ - المدرسةُ الصالحيةُ: أنشأها شقيقُ صلاحِ الدينِ الصالحِ نجمُ الدينِ أيوبُ<sup>(٥)</sup>.

٦ - مدرسةُ العادلِ: أنشأها العادلُ شقيقُ صلاحِ الدينِ بمدينةِ مِصرَ، وأوقفها على فقهاءِ المالكيةِ<sup>(٦)</sup>.

(١) «الخطط المقرزية المواعظ والاعتبار»: ١ / ٣٦٤.

(٢) المرجع السابق: ٢ / ٣٤٤.

(٣) المرجع السابق: ٢ / ٣٦٥.

(٤) المرجع السابق: ٢ / ٣٨٦.

(٥) المرجع السابق: ٢ / ٣٧٤.

(٦) المرجع السابق: ٢ / ٣٦٥.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

٧ - المدرسةُ السَّيفيَّةُ: أنشأها سيفُ الإسلامِ طفكتينُ بنُ أيوبَ شقيقُ صلاحِ الدِّينِ، وقد درَّسَ بها عمادُ الدِّينِ والدُّ القاضي صدرِ الدِّينِ<sup>(١)</sup>.

٨ - المدرسةُ الفاضليَّةُ: أنشأها القاضي الفاضلُ عبدُ الرحيمِ بنُ عليٍّ<sup>(٢)</sup> أحدُ وزراءِ صلاحِ الدِّينِ سنةَ (٥٨٠هـ)، وقد درَّسَ بها الإمامُ الشَّاطبيُّ<sup>(٣)</sup>، ثم تلميذه أبو عبد الله القُرطبيُّ، وأبو القاسمِ الإسكندرانيُّ، وقد أوقفت على فقهاءِ الشَّافعيَّةِ والمالكيَّةِ<sup>(٤)</sup>.

٩ - مدرسةُ أيازكوج: أنشأها سيفُ الدِّينِ أيازكوج الأَسديُّ - أحدُ أمراءِ صلاحِ الدِّينِ - بسوقِ الغزلِ في مدينةِ مِصرَ<sup>(٥)</sup>.

١٠ - مدرسةُ ابنِ رشيقٍ: أنشأها القاضي علمُ الدِّينِ ابنُ رشيقٍ<sup>(٦)</sup>.

١١ - المدرسةُ الفانزيَّةُ: أنشأها شرفُ الدِّينِ هبةُ الله بنُ صاعدٍ الفانزيُّ، أحدُ أمراءِ صلاحِ الدِّينِ، وقد درَّسَ بها القاضي شرفُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بنُ عَيْنِ الدَّولةِ، وكانت

(١) «الخطط المقرئية المواعظ والاعتبار»: ٣٦٧/٢.

(٢) تولَّى القضاءَ والوزارةَ في عهدِ صلاحِ الدِّينِ، وُلِدَ سنةَ (٥٢٩هـ)، وتُوفِّيَ سنةَ (٦٤٣هـ). (انظر: وفيات الأعيان: ١٦٥/٣).

(٣) هو: إبراهيمُ بنُ موسى بنِ مُحَمَّدٍ اللخميِّ الغرناطيِّ تُوفِّيَ سنةَ (٧٩٠هـ). (انظر: الأعلام: ١١/٥).

(٤) «الخطط المقرئية المواعظ والاعتبار»: ٣٦٦/٢.

(٥) المرجع السابق: ٣٦٧/٣.

(٦) المرجع السابق: ٣٦٨/٢.

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

لفقهاء الشافعية<sup>(١)</sup>.

- ١٢ - المدرسة القطبية: أنشأها الأمير قطب الدين خسرو أحد أمراء صلاح الدين، وزوجته عصمت الدين بنت الملك العادل، وقد خصصت لفقهاء الشافعية<sup>(٢)</sup>.
- ١٣ - المدرسة الأزكشية: أنشأها الأمير سيف الدين أيازكوج الأسدي، أحد أمراء صلاح الدين، وقد أوقفها على فقهاء الحنفية<sup>(٣)</sup>.
- ١٤ - المدرسة الفخرية: أنشأها الأمير فخر الدين عثمان بن قزل بالقاهرة<sup>(٤)</sup>.
- ١٥ - المدرسة العاشورية: أنشأها السنت عاشور بنت ساروح الأسدي، زوجة الأمير أيازكوج الأسدي، وجعلتها لفقهاء الحنفية<sup>(٥)</sup>.
- ١٦ - المدرسة الصيرمية: أنشأها جمال الدين بن صيرم، أحد أمراء صلاح الدين<sup>(٦)</sup>.
- ١٧ - المدرسة الشرفية: أنشأها الأمير الشريف فخر الدين أبو نصر إسماعيل ابن حصن الدولة، أحد أمراء صلاح الدين<sup>(٧)</sup>.

(١) «الخطط المقرزية المواعظ والاعتبار»: ٣٦٥ / ٢.

(٢) المرجع السابق: ٣٩١ / ٢.

(٣) المرجع السابق: ٣٦٧ / ٢.

(٤) المرجع السابق: ٣٦٧ / ٢.

(٥) المرجع السابق: ٣٦٨ / ٢.

(٦) المرجع السابق: ٣٦٨ / ٢.

(٧) المرجع السابق: ٣٧٤ / ٢.



أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

١٨ - مدرسةُ منازلِ العز: أنشأها الأميرُ تقيُّ الدينِ عمرُ، أحدُ أمراءِ صلاحِ الدِّينِ<sup>(١)</sup>.

١٩ - المدرسةُ الصَّاحبيَّة: أنشأها الصَّاحبُ صفِّيُّ الدينِ عبدُ الله بنُ عليِّ بنِ شكر، وجعلها وقفًا على المالكيَّة<sup>(٢)</sup>.

٢٠ - مدرسةُ ابنِ الأرسوفيِّ: أنشأها عبدُ الله بنُ الأرسوفيِّ أحدُ التُّجَّارِ<sup>(٣)</sup>.

ومع هذا الجهدُ الكبيرُ استطاعَ صلاحُ الدِّينِ أن يُعجِّلَ ويسارعَ في إنشاءِ المؤسَّسةِ التَّربويَّةِ المنتظمةِ (المدرسة)، وشجَّعَ على ذلك ضمنَ سياسةِ تربويَّةِ حكيمةٍ واعيةٍ، حيثُ أجازَ تدريسَ كافَّةِ المذاهبِ الفقهيَّةِ - ما عدا المذهبَ الحنبلِيَّ إذ لم يكن مُنتشرًا بِمِصرَ في تلكِ الحُقبةِ، إنما كان انتشارُ المذهبِ الشافعيِّ واسعًا لانتشارِ خريجيِّ النِّظاميَّاتِ وكلُّهم من الشافعيَّةِ من الأقاليمِ الإسلاميَّةِ، وكانوا متصدرينَ مراكزَ القيادةِ العلميَّةِ والفكريَّةِ - وذلك لحكمةِ استقطابِ الناسِ جميعًا ضمنَ هذه المدارسِ، وإنما تعجَّلَ صلاحُ الدِّينِ بذلك لما رجحَ عنده من أهميَّةِ (المدرسة) في التغييرِ والإصلاحِ، وكانت هذه المدارسُ تُغطِّي بكافَّةِ المتطلباتِ، التي سائِبُها مفصلةٌ خلالَ المبحثِ الثاني من هذا الفصلِ.

(١) «الخطط المقيزية المواعظ والاعتبار»: ٣٧٤ / ٢.

(٢) المرجع السابق: ٣٧١ / ٢.

(٣) المرجع السابق: ٣٦٤ / ٢.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

#### \* رابعاً: المراكزُ التعليميَّةُ الخاصَّةُ (البيمارستانات):

لما تولى صلاحُ الدِّينِ الحُكْمَ استولى على القصرِ الفاطميِّ، جاعلاً قسماً منه بيمارستان، وقد وصفه ابنُ جُبَيْرٍ بقوله: «ومما شاهدناه من مفاخرِ هذا السُّلطانِ، البيمارستانُ الذي بمدينةِ القاهرة، وهو قصرٌ من القصورِ الرائعةِ حُسناً واتساعاً، وعيَّن فيها من أهلِ المعرفةِ، ووضَعَ لديهم خزائنَ العقاقيرِ، ومكَّنهم من استعمالها»<sup>(١)</sup>، وقد وصفه وصفاً جميلاً. وقد عيَّن صلاحُ الدِّينِ أطباءَ مشرفين ومدرسين يقومون بتعليم الأَطباءِ فيه، فكان منهم إبراهيمُ بنُ الرئيسِ الميمونِ رضيَ الدينِ الرحبيُّ، وابنُ أبي أصيبعةَ، والقاضي نفيسُ الدينِ ابنُ الزيرِ، والشيخُ السديدُ بنُ أبي البيانِ<sup>(٢)</sup>.

كما شيَّد صلاحُ الدِّينِ بالإسكندريةِ بيمارستانَ آخرَ وفعل به كما فعل بالأوَّلِ<sup>(٣)</sup>. فكان توجهُ صلاحِ الدِّينِ واهتمامه مُنصباً على استقطابِ أهلِ الاختصاصِ لتعليمِ تخصُّصهم ونشره بين الشَّعبِ، ومن هؤلاء الطَّيِّبُ أبو المجدِّ بنُ أبي الحُكْمِ الذي يدرِّسُ علومَ الطَّبِّ في هذا المستشفى ويشرفُ على التطبيقِ العمليِّ للطلَّابِ. خلاصةُ ما تقدَّم أنَّ صلاحَ الدِّينِ قد أولى المؤسساتِ التَّربويَّةَ عنايةً خاصَّةً، وغطَّى جوانبَ المجتمعِ المصريِّ كاملةً بكافةِ طبقاته؛ لأنه قصدَ إحداثَ تغييرٍ شاملٍ في

(١) «الرحلة»: ص ٢٥.

(٢) «تاريخ البيمارستانات في الإسلام»: ٧٩-٨٢.

(٣) المرجع السابق: ص ٨٢، «الخطط المقرئية المواعظ والاعتبار»: ٦/٢.

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

---

واقع المجتمع المصري، فصهر جميع الاتجاهات نحو الاتجاه التربوي الممثل بتفاعل المؤسسات مع المجتمع.

وفي المبحث التالي سأعرض كيفية تمويل هذه (المؤسسات التربوية) آنفة الذكر.

\*\*\*

أثرُ جهودِ صلاحِ الدّينِ الأيوبيِّ التّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميّةِ

---

---

## المبحث الثاني

### تمويل المؤسسات التربوية في عصر صلاح الدين

اهتمَّ صلاح الدين بتمويل المؤسسات التربوية ودعمها؛ لضمان بقائها وأداء رسالتها على الوجه الأكمل، لا سيما أنَّ الشعب المصري كان فقيراً وقد أُرهِقَ بكثرة الضرائب الباهظة، وجزءٌ من الشعب كان من المغاربة والسودان وغيرهم من الغرباء وطلبة العلم الفقراء. وقد تنبه صلاح الدين لذلك؛ فعمل على توفير قدرٍ من الاستقرار المادي للمعلمين والطلاب وتقديم التسهيلات المناسبة لهم ليستطيعوا التفرغ للتعليم والتعلم. أمَّا مصادر التمويل فكانت على النحو التالي:

#### \* أولاً: التمويل من قبل الدولة (بيت مال المسلمين):

ظهر التمويل من قبل الدولة واضحاً من خلال العناية بالمساجد وما يلحقُ بها من مرافقها التعليمية والإدارية والمعلمين والطلاب، وهذا ما أكده ابن جبير بقوله: «إنَّ كلَّ مسجدٍ تمَّ بناؤه أو مدرسةٍ يُعيَّن لها السلطان صلاح الدين أوقافاً تقومُ بها وساكنيها والملتزمين بها». وقال في موطنٍ آخر: «والحقُّ بالمسجد النظام الداخلي، حيثُ كان مأوى للغرباء، وأجرى عليهم الأرزاق في كلِّ شيءٍ»<sup>(١)</sup>.

وبهذا أمَّن صلاح الدين - بصفته سلطاناً وولياً للأمر - تمويل هذه المؤسسات،

(١) «حسن المحاضرة»: ٧٥١ / ٢، «الخطط المقرية المواعظ والاعتبار»: ٣٦٥ / ٢.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصْرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

فجعلَ للمدرسةِ الناصريَّةِ حَمَّامًا بجوارِها ومخزناً وحوانيتَ، وفعلَ مثلَ هذا مع أكثرِ المؤسساتِ التي أنشأها وأشرفَ عليها<sup>(١)</sup>، فكانَ يعطي أربعينَ ديناراً في كلِّ شهرٍ عنِ التدريسِ، وعشرةَ دنانيرٍ للنظرِ في أوقافِ المدرسةِ، وستينَ رطلاً مِصريًّا من الخبزِ يومياً ويجعلُ راويتينِ من ماءِ جزيرةِ الفيلِ كلَّ يومٍ. وكانَ هذا الإنفاقُ على وجهِ المثالِ لإحدىِ مدارسِ صلاحِ الدينِ وهي (المدرسةُ الناصريَّةُ) بجوارِ قبرِ الشافعيِّ<sup>(٢)</sup>.

#### • ثانياً: التمويلُ من قبلِ الأمراءِ والوزراءِ والقضاةِ:

اقتدى الأمراءُ والوزراءُ والقضاةُ بفعلِ السُّلطانِ صلاحِ الدينِ، فشرعوا في إقامةِ المؤسساتِ التَّربويَّةِ وتمويلها، ومن هؤلاء (القاضي الفاضلُ) الذي أشرفَ وأنفقَ على المدرسةِ المُسمَّاةِ بالفاضليَّةِ نسبةً إليه وأوقفَ الوقفَ اللازمَ لها، ومنهم الأميرُ أيازكوج أحدُ أمراءِ صلاحِ الدينِ الذي قامَ ببناءِ المؤسساتِ التَّربويَّةِ وأوقفَ الوقفَ اللازمَ لها، وقامَ الأميرُ العادلُ شقيقُ صلاحِ الدينِ بالبناءِ والإنفاقِ على المؤسساتِ التَّربويَّةِ وأوقفَ وموَّلَ كثيراً منها، وغيرُهم كثيرٌ<sup>(٣)</sup>.

#### • ثالثاً: التمويلُ من قبلِ عامَّةِ الناسِ:

موَّلَ التجارُ وغيرُهم من عامَّةِ الشعبِ المؤسساتِ التَّربويَّةِ بِمِصْرَ (المدارسِ)، مثلَ ابنِ الأرسوفِيِّ الذي بنى إحدى هذه المدارسِ وأطلقَ عليها (مدرسةُ ابنِ الأرسوفِيِّ)

(١) «الرحلة»: ص ٢٧، بتصرفٍ.

(٢) «الخطط المقرية الموعظ والاعتبار»: ٤٠٠/٢.

(٣) المرجع السابق: ٤٢٠-٣٦٤/٢.

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

نسبةً إليه، وبنى مسرور الصفدي - وهو من عامة الشعب - (المدرسة المسرورية) نسبةً إليه، وحسام الدين قايماز الذي بنى (المدرسة الغزنوية) وتعهدها<sup>(١)</sup>.

إن مصادر التمويل والدعم لهذه المؤسسات - التي وفرتها الدولة وكافة طبقات الشعب - ساعدت صلاح الدين في الوصول لأهدافه المستقبلية التي أعد لها العدة وحشد لها الجهود لتغيير الواقع المؤلم والنهوض بالأمّة. ومن أهم هذه الأهداف:

١ - رفع الجهل عن الأمّة بمفهومه العام، ونشر العلم النافع والمعرفة في كافة المجالات؛ للنهوض بالأمّة، واسترجاع المقدّسات، وحماية بيضة الإسلام.

٢ - توفير مجانية التعليم، وإتاحة تكافؤ الفرص بين كافة طبقات الشعب؛ ليعم الاستقرار والرخاء، ويُفسح المجال لتمييز الأفراد وإبراز القدرات.

٣ - القضاء على المفاهيم والعادات الغريبة الدخيلة والبدع والشركيات التي تتناقض مع الإسلام، التي أشاعها وخلفها الاحتلال الشيعي الفاطمي الباطني البغيض في المجتمع المسلم المصري وغيره من المجتمعات.

ولا ريب أن تمويل هذه (المؤسسات) ودعمها - من الراعي والرعية - كان أساساً في نجاح (المؤسسة التربوية)، وبلوغ أهدافها، ورفع شأنها.

\*\*\*

(١) «الخطط المقرزية المواعظ والاعتبار»: ٢/٣٦٤-٣٩٠.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

---

---



### الفصل الثالث

## المناهجُ التَّربويَّةُ

ويشملُ المباحثَ التَّاليةَ:

- المبحث الأول: طبيعةُ المناهجِ في عصرِ الفاطميينَ
- المبحث الثاني: أساليبُ صلاحِ الدِّينِ في تغييرِ المناهجِ السابقةِ
- المبحث الثالث: نماذجُ لبعضِ المناهجِ التي أقرَّها صلاحُ الدِّينِ

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

---

---

## المبحث الأول

### طبيعة المناهج في عصر الفاطميين

اهتمَّ الفاطميونَ بنشرِ مذهبهم اهتمامًا بالغًا، حيثُ كان لهم تشريعٌ خاصٌّ بهم في معاملاتهم وثقافتهم وفي صلاتهم وأذانهم، وكانت عندهم عباداتٌ مقرَّرةٌ تميَّزت عن غيرهم، فلا غروَ في ذلك، فإنَّ كلَّ إسماعيليٍّ مهما بعدتْ دياره كان يحنُّ إلى الدَّولةِ الفاطميَّةِ، ويسعى إلى دعمها، وتلبية ما تفرَّضه عليه مبادئها ونُظُمها. وبهذا تكون الدعوةُ الفاطميَّةُ قد سارت مسارًا توجيهيًّا كبيرًا، يتجلَّى ذلك بِمَا نطقَ به الدُّعاةُ الذين جاؤوا من كلِّ مكانٍ لدعمِ هذه الدَّعوةِ والتمكينِ لهذه الدولةِ.

وعليه؛ فقد كانت مظاهرُ الدَّعوةِ الإسماعيليَّةِ - والتي كانتِ الدَّولةُ الفاطميَّةُ تقومُ بنشرها - معتمدةً على منهجين:

- المنهج الأول: المنهج العلنيُّ؛ وكان يقومُ به الوزراءُ والولاةُ، بحيثُ يُرضي العامَّةَ جميعها.

- المنهج الثاني: المنهج السُّرِّيُّ؛ وكان يشرفُ عليه الخليفةُ الفاطميُّ نفسه<sup>(١)</sup>.

وبهذا برزتِ المناهجُ عندهم من خلالِ دُعائهم ومؤلفاتهم والعناية بنشرها.

وفيما يلي ذكرُ أبرزِ الدُّعاةِ الذين تولَّوا إعدادَ هذه المناهج ونشرها:

---

(١) «نُظْمُ الفاطميينَ ورُسُوْمُهُم في مِصْرَ»: ٧٣-٨٥.

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

### (أ) - جعفر بن منصور اليماني<sup>(١)</sup>:

من كبار دعاة الفاطميين المكلفين بشؤون الدعوة، كان يُلقَّب «باب الأبواب»<sup>(٢)</sup> و«داعي الدعوة»، امتاز جعفر بنشاطه الفكري في حقل التأليف خاصة في الجانب الفلسفي الديني والفقهِ والعقيدة، وقد عُرف من كتبه ما يلي:

«الفرائض وحدود الدين»<sup>(٣)</sup>، «سرائر وأسرار النطقاء»<sup>(٤)</sup>، «الشواهد والبيان»<sup>(٥)</sup>، «تأويل سورة النساء»، «المراتب والمحيط»، «رسالة في معنى الاسم الأعظم»، «الرضاع في الباطن»، «العالم والفلاح»، «تأويل الحروف»، «سيرة ابن حوشب»، «خزائن الأدلة»،

(١) اختلف في اسمه كثيراً، فقليل: جعفر وهو الذي تطبع به كتبه، ويقال: رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب بن زاذان النجار أبو القاسم الكوفي ويُلقَّب بـ(منصور اليماني)، المولود في اليماني (٣٨٠هـ / ٩٩٠م). (نقلا عن: أصول الإسماعيلية: للسلمي ٢/ ٦٨٥).

(٢) هذا المرتبة خلعها عليه المعز الفاطمي، وهي الثانية في مراتب الدعوة من حيث الأهمية عند الإسماعيلية الفاطمية، وتأتي بعد (الإمام) مباشرة، وتعتبر مرتبة (الباب) سرية للغاية حيث لا يعرف شاغلها إلا الأمام نفسه، وقد وصف أحدهم هذه المرتبة بقوله: «حد الباب هو من حدود الصفة واللباب، فهو أفضل الحدود، وهو حد العصمة، ولا ينتهي إلى ذلك إلا الأحاد والأفراد». (السابق: ١/ ٣٣٦).

(٣) نشرته الجامعة الأمريكية بالقاهرة عام ١٩٥٨م. (السابق: ٢/ ٦٨٥).

(٤) طبع بدار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦١م. وله مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة ضمن (منتخبات إسماعيلية) جمعها إيفانوف من الهند في عام ١٩٤٢م. وطبع أيضا بتحقيق مصطفى غالب - كاتب إسماعيلي معاصر، بدار الأندلس، ط ١، بيروت، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م. (السابق: ٢/ ٦٨٥).

(٥) مخطوط في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية قسم عقائد رقم ١٨٤. (السابق: ٢/ ٦٨٥)..

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

«تأويل الزكاة»، «الكشف»<sup>(١)</sup>، «الفترات والقرانات أو الجفر الأسود»<sup>(٢)</sup>، وكانت كُتُبُه تُدرِّسُ خاصَّةً في زَمَنِ المُعزِّ الفاطميِّ<sup>(٣)</sup>.

### (ب) - يَعْقوبُ بنُ كِلِّس:

كان من دُعَاتِهِمُ الذين اهتمَّوا بالمناهجِ، ويُعدُّ من أبرزِ الشَّخصيَّاتِ التي خدمتِ الدَّولةَ الفاطميَّةَ وأدَّتْ لها أَجَلَ الخدماتِ. وُلِدَ يَعْقوبُ هذا في بغدادَ من أُسرةٍ يهوديَّةٍ، ونشأَ فيها، حيثُ درسَ الكتابةَ والحسابَ، واتَّخَذَ التَّجَارَةَ مهنةً له، وقد اتَّصَلَ بكافورِ حاكمِ مِصرَ عام (٣٣٤هـ)، وقربَه إليه، وقد أسلَمَ في عهدِه، واتَّصَلَ بدُعاةِ الشَّيعةِ سِرًّا آنذاك وزوَّدَهُم بكلِّ شارِدةٍ ووارِدةٍ عن مِصرَ وأحوالِها، وبعدَ أن استتبَّ الأمرُ للمُعزِّ عيَّنَ ابنَ كِلِّسِ على الخراجِ وجميعِ وُجوهِ الحِسبةِ والأحوالِ، ووليَّ النَّظَرَ في جميعِ أمورِ القصرِ، وبعدَ وفاةِ المُعزِّ ازدادتْ مكائتُه عندَ العزيرِ، حيثُ عُيِّنَ وزيرًا للتَّعليمِ عندهُ، فقد كان يجمعُ العلماءَ والفقهاءَ في منزلهِ في دروسٍ خاصَّةٍ، منهم الحُسينُ بنُ عبدِ الرَّحيمِ الزُّلازليُّ مُصنِّفُ كتابِ «أنواعِ الأسجاعِ»، والتميُّيُّ المقدسيُّ الطَّيِّبُ.

وقد بلغَ ابنُ كِلِّسِ درجةً كبيرةً في التَّأليفِ، فقد رتَّبَ لِنفسِهِ مجلسًا في كلِّ ليلةٍ

(١) طبع هذا الكتاب بدار الأندلس، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م. تحقيق مصطفى غالب

كاتب إسماعيلي معاصر. ولعلَّ الكتاب نُشرَ قديمًا، وطبعة دار الأندلس هي النشرة الجديدة.

(٢) مخطوط بمكتبة محمد حسين كامل، وهو كاتب إسماعيلي معاصر، حقَّق كثيرًا من تراثِ الإسماعيليَّةِ خاصَّةً والشَّيعةِ عامَّةً.

(٣) «فهرست كتب الشَّيعة»: ص ٦٥.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدينِ الأيوبيِّ التُّرْبُوويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصْرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

جُمعَةً يقرأ للناسِ من مُصنَّفاته، وكان يحضُرُ المجلسَ القضاءَ والفقهاءَ والنُّحاةَ ووجوهَ الدولةِ، كما رتَّبَ مجلسًا آخرَ للفقهاءِ والمتكلمينَ وأهلِ الجدلِ، وكانوا يشتركون بالمناظرةِ أمامه.

وقد بلغت مؤلفاته نحوَ (العشرين مؤلفًا) جميعها فُقدتْ ولم يبقَ إلا «الرسالةُ الوزيريَّة» في مختصرِ الفقهِ الذي كان مرجعًا للفتيا، ومصدرًا للقضاةِ في أحكامهم. ولا شك في أن ابنَ كلِّس هو الذي حوَّلَ الأزهرَ من جامعٍ إلى جامعةٍ علميَّةٍ، رتَّبَ فيها للعلماءِ والمدرسينَ والطلابِ على حدِّ سواءِ رواتبَ وأرزاقًا. تُوفِّي ابنُ كلِّس سنة (٣٨٠هـ)، قال العزيزُ الفاطميُّ فيه: «وددتُ لو أنك تبتاعُ فأبتاعك بهالي أو تُفدى فأفديك بولدي». ومدحه الشاعرُ الشيعيُّ ابنُ الرقعمق بقوله:

لَمْ يَدْعُ لِلعَزِيزِ فِي سَائِرِ الأَرْضِ عَدُوًّا إِلَّا وَأَخْمَدَ نَارَهُ  
ولِهذا اجْتَبَاهُ دُونَ سِوَاهُ وَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ وَاخْتَارَهُ  
لَمْ تُشَيِّدْ لَهُ الوِزَارَةَ مَجْدًا لَا وَلَا قَبْلَ رَفَعْتُ مَقْدَارَهُ  
بَلْ كَسَا مَعًا وَقَدْ تَحَزَّمَهَا الدَّهْرُ وَكَسَرَ الخُطُوبَ بِالْبَدْلِ غَارَهُ

وبهذا يكون ابنُ كلِّس من أهمِّ الشخصياتِ التُّرْبُوويَّةِ التي اهتمَّت بالمناهج، حيثُ ألزَمَ القضاءَ والأزهرَ الجامعةَ العلميَّةَ بهذه المناهج التي صاغها من كُتبه<sup>(١)</sup>.

(١) «فهرست كتب الشيعة»: ص ٧٠، «الخطط المقرئية المواعظ والاعتبار»: ٣٤١ / ٢.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

### (ج) - القاضي النعمانُ بنُ حيَّونَ التميميُّ<sup>(١)</sup>:

اتصلَ هو أيضًا بمؤسسِ الدَّولةِ الفاطميَّةِ عبيدِ اللهِ المهديِّ، ووجَّهَ جهودهَ للمذهبِ الفاطميِّ ونشره، فكانَ أوَّلَ أعماله إنشاءَ المكتبةِ الخاصَّةِ حيثُ عهدَ إليه أمرُها والإشرافُ عليها، فأفادتهُ هذهُ المهمةُ كثيرًا من الإطلاعِ على شتى العلومِ. وفي عهدِ المنصورِ عينه قاضيًا حتى أصبحَ قاضيَ الدَّولةِ الأوَّلَ والمسؤولَ عن كافَّةِ القضاةِ.

وفي الوقتِ نفسه تفرَّغَ للتأليفِ والتدريسِ في نصرَةِ المذهبِ. وفيما يلي أذكرُ أشهرِ مؤلَّفاتهِ التي كانت تُدرِّسُ وتعتمدُ في القضاءِ والأزهرِ كمناهجَ علميَّةٍ ثابتةٍ:

- كُتِبَ في الفقه: «الإيضاح»، «الأخبار»، «مختصر الإيضاح»، «البيوع»، «الاقتصار»، «الاتفاق»، «الافتراق»، «المقتصر»، «القصيدة المنتخبة»، «مختصر الآثار»، «يوم وليلة»، «الطهارة»، «كيفية الصلوات»، «ومنهاج الفرائض».

- كُتِبَ في العقائد: «القصيدة المختارة»، «التعاقد والانتقاء»، «كتاب الدعاة»، «كتاب المهمة في آداب اتباع الأئمة»، «الشروط».

- كُتِبَ في المناظرة: «الرسالة المضريَّة في الرد على الشافعيِّ»، «الرد على أحمد ابن شريح البغدادي»، «الرسالة المسلمة ذات البيان في الرد على ابن قتيبة»، «اختلاف

---

(١) هو: القاضي أبو حنيفة النعمانُ بنُ مُحَمَّد بن منصور بن حيَّونَ المغربيِّ التميميِّ، وُلِدَ في القيروان سنة ٢٩٣هـ، وتُوفِّيَ في القاهرة سنة ٣٦٣هـ. (انظر: وفيات الأعيان ١/ ٤١٥).

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

أصول المذاهب»، «دافع الموجز من الرد العتكي».

- كُتِبَ فِي التَّأْوِيلِ: «نهج السبيل إلى معرفة علم التأويل»، «أساس التأويل»،  
«تأويل دعائم الإسلام».

- كُتِبَ فِي الفِلسَفَةِ وَعِلْمِ الكَلَامِ: «حدود المعرفة»، «التوحيد»، «الإمامة»،  
«إثبات الحقائق».

- كُتِبَ فِي الأَخْبَارِ وَالسِّيَرِ: «شرح الأخبار»، «قصيدة ذات المنن»، «قصيدة  
ذات المحن».

- كُتِبَ فِي التَّارِيخِ: «افتتاح الدعوة»<sup>(١)</sup>، «مناقب بني هاشم»، «الرسالة إلى  
المرشد الراعي لمصر في تربية المؤمنين»، «المجالس والمسائرات»، «معالم الهدى».

- كُتِبَ فِي عِلْمِ الأَرْوَاحِ: «تأويل الرؤيا»، «المنامات»، «الأئمة»، «كتاب  
التقريع»، «التعنيف»، «مفاتيح النعمة»، «تقويم الأحكام»، «الواحة»، «التسلي».

وكان من أهم كتب النعمان التي اعتمدها الفاطميون لخدمة مذهبهم:

- كُتِبَ: «أساس التأويل»، وفيه تأويل قصص الأنبياء التي وردت في القرآن،  
وقد ترجمه للفارسية المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي داعي الدعاة في عهد المنتصر<sup>(٢)</sup>.

- وكتابه: «دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام»، وهو

(١) طبع في (دار الثقافة)، بيروت، ط ١، ١٩٧٠م، بتحقيق وداد القاضي.

(٢) طبع بتحقيق: عارف تامر (كاتب إسماعيلي معاصر).



أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصْرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

يقعُ في جزئين، الأول: يبحثُ في العباداتِ، ويبدأ بكتابِ الإيمان. والثاني: يبحثُ في المعاملاتِ<sup>(١)</sup>.

- وكتابه: «تأويل دعائم الإسلام»، ويُعرفُ كذلك باسم: «تربية المؤمنين بالتوفيق على حدود باطن علم الدين»، ويقع في مجلدين، وهو في التأويلِ الباطنيِّ<sup>(٢)</sup>.

- ومن كتبه المتمدِّدة في مناهجهم كتاب: «المجالس والمسائرات»، ويعتبرُ هذا سجلاً للأخبارِ والأحاديثِ التي سمعها النعمانُ من إمامه المعزِّ في المغربِ ومِصْرَ، وفيه الكثيرُ من المعتقداتِ الفاطميَّةِ.

- وكتابه: «الهمة في آداب واتباع الأئمة»، ويتعلَّقُ بالإمامةِ ووجوبها، ووجوبِ الاعتقادِ بولايتهم، والتدبُّرِ بإمامتهم<sup>(٣)</sup>.

(د) - الشاعرُ مُحَمَّدُ بنُ هانئِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ سعدونِ الأزدِيِّ الأندلسيِّ: وُلِدَ بقريةِ سكون من أعمالِ مدينةِ أشبيلية سنة (٣٢٠هـ)، لقيَ القائدَ جوهرَ، والتقى بالمعزِّ الفاطميِّ ومدحه فبالغَ المعزُّ في الإنعامِ عليه، وكان من فحولِ الشعراءِ، مُطلِّعاً على أسسِ العقيدةِ الفاطميَّةِ، مُهتماً بنشرها وإيضاحها من خلالِ شعره الذي

(١) طبع في مطبعة (دار المعارف) بمِصْرَ.

(٢) طبع كذلك في مطبعة (دار المعارف) بمِصْرَ.

(٣) قامت (دارُ المعارف) بطباعةِ جميعِ هذه الكتبِ بمِصْرَ، ولمجموعِ هذه المؤلفاتِ (انظر: فهرست كتب الشيعة لطيفور ص ٥٦، الخطط المقرزية: المواعظ والاعتبار: ٢/٣٤٤).

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

انتشر وتناقلته الألسن في المجالس العلمية<sup>(١)</sup>.

(هـ) - منصور الجوذري الكاتب:

عاش أيام العزيز الفاطمي، وكانت مؤلفاته تدرس ومن أبرزها «كتاب السيرة»، جمع فيه حياة الإمام وتوقعات الأئمة له، أي الإجازات العلمية المعطاة له.

(و) - حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرمانى داعي الدعوة في عصر الحاكم: من كتبه «راحة العقل»، وهو من أهم الكتب التي تتحدث عن الفلسفة الفاطمية<sup>(٢)</sup>.

(ز) - هبة الله المؤيد في الدين داعي الدعوة الشيرازي<sup>(٣)</sup>:

له المؤلفات التالية: «ديوان المؤيد»، «المجالس المؤيدية»، «السيرة المؤيدية»، «والمجالس المستنصرية»<sup>(٤)</sup>.

(ح) - محمد بن طاهر بن إبراهيم الحارثي:

من كتبه: «الأنوار اللطيفة»، يتحدث فيه عن العلوم السرية، والتوحيد.

(ط) - علي بن محمد بن الوليد الداعي الخامس: من كتبه: «الأخيرة»،

(١) نُشر هذا الديوان (بدار المعارف المصرية) بتحقيق: آصف علي أسفر.

(٢) نشر هذا الكتاب في (مطبعة القاهرة) بإشراف د. محمد مصطفى حلمي ود. محمد كامل حسين. وحققه

أيضا مصطفى غالب - إسماعيلي معاصر - بدار الأندلس ط ١، ١٩٦٧ م.

(٣) من أكابر دعواتهم توفي سنة (٤٧٠هـ). (عيون الأخبار ٧٩).

(٤) جميع كتبه بمصر، دار الفكر العربي والكتاب العربي.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التُّرْبُوِيِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصْرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

وهو يبحثُ في التوحيدِ والإبداعِ والإمامةِ<sup>(١)</sup>.

وهكذا؛ فإنَّ المناهجَ تظهرُ جليَّةً من خلالِ المؤلِّفينَ لها، وسأذكرُ فيما يلي (تسعةَ

نماذجٍ) من هذه الكُتبِ التي اعتنتُ بصياغةِ مناهجِ الفكرِ الفاطميِّ التُّرْبُوِيِّ:

• **النموذج الأول:** وهو من كتابِ «المجالسِ المؤيِّدية» لداعيِ الدُّعاةِ المؤيِّدِ في الدينِ هبةِ الله الشِّيرازيِّ، وهو عبارةٌ عن مجموعةٍ منَ المحاضراتِ ألقاها في مجالسِ الدُّعوة، وقد بلغَ عددها ثمانمائةَ محاضرةٍ.

يُشيرُ داعيِ الدُّعاةِ الشِّيرازيُّ - في هذا الكتابِ - إلى أنَّ الفاطميِّينَ ذهبوا إلى أنَّ اللهَ

تعالى لا يُرى بالأبصارِ، وأنه لا يُرى بالعقولِ لقولِ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ إلى

رَبِّهَا نَاطِرَةٌ<sup>(٢)</sup>، المعنى: أي إلى ثوابِ ربِّها ناظرةً، وقالوا: إلى نعمةِ ربِّها ناظرةً.

ويقولُ الشِّيرازيُّ عنِ الإستواءِ ممثلاً بالشَّعرِ التالي:

«معنى استوى استولى وهذي مكانته وحوله في دينه وقوت»<sup>(٣)</sup>

ويقولُ عنِ الإمامةِ: «فالإمامةُ في قيادةِ العالمِ وحملِ الحقيقةِ إليه ومثل هذا المرشد

(١) ينظرُ لجميعِ ما مضى المراجعُ التالية: «فهرست كتب الشِّيعة» كاملاً في مختصرِ بالمؤلِّفينَ الفاطميِّينَ،

«الخططِ المقرَّبِزيةِ المواعظِ والاعتبار»: ٢ / ٣٤٠ - ٣٨٠، «المعز لدينِ الله الفاطميِّ مؤسسِ الدُّولةِ

الفاطميَّة» لعارفِ تامر (إسماعيلي معاصر)، «ديوانِ ابنِ هانئ».

(٢) سورةِ القيامة، الآية ٢٢ - ٢٣.

(٣) «المجالسِ المؤيِّدية»: ١ / ٤٧.

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

ضروري، ووجوده في كل عصر حتى لا يبقى العالم جاهلاً لما يروى عن النبي ﷺ قال: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الجاهلين وانتحال المبطلين وتأويل الغالين»<sup>(١)</sup>، والأئمة الذين أقامهم الله سبحانه وتعالى للتعديل بين الظاهر والباطن والدعاء إليهما والبعث عليهما واعتقادهما عملاً وعلماً»<sup>(٢)</sup>.

ويقول: «يقول علي: ما نزلت آية من آيات القرآن إلا علمت كيف نزلت، وأين نزلت، وفي أي شيء نزلت، سلوني قبل أن تفقدوني، عما كان وعما يكون إلى يوم القيامة،

(١) حديث حسنٌ لغيره: رواه العُقَيْلِيُّ في (الضعفاء، المقدمة ٩/١)، وابنُ عَدِيٍّ في (الكامل في الضعفاء: المقدمة ١/١٤٦-١٤٧) وغيرهما: مرفوعاً من رواية عدّة من الصحابة عن النبي ﷺ، ومن مُرسل إبراهيم بن عبد الرحمن العُدْرِيّ. وجميع طرقه فيها ضعفٌ شديدٌ، لكن لكثرتها اختلف أهل العلم قديماً وحديثاً فيه، فمنهم من ضعفه، ومنهم من صحّحه، ومنهم من توقّف فيه. والحقُّ أنّ الحديث يرتقي إلى مرتبة الحسن لغيره من (رواية أبي هريرة من طريق أبي حازم عنه، ورواية أبي أمامة، ومُرسل إبراهيم العُدْرِيّ). وتؤيده نصوص كثيرة من القرآن الكريم والسنة الصحيحة. والله أعلم. انظر للتوسع كتاب: (إرشاد الفحول لسليم الهلالي، ص ١١-٣٥).

#### تنبيهات:

- أولاً: اللفظ الذي ذكره الشيرازي في تحريف، وصوابه: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوّه، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين».

- ثانياً: أنّ استدلال الشيرازي به على ما يذهب إليه عامة الشيعة من حصر الإمامة ومعرفة أحكام الدين في أهل البيت دون غيرهم هو استدلالٌ فاسدٌ.

(٢) «المجالس المؤيدية»: ٥١/١.

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

قال عليّ: إن هنا لعلماً جَمًّا. وأشار إلى صدره<sup>(١)</sup>.

(١) قول عليّ هذا - رضي الله عنه - له طرقٌ ورواياتٌ، أصحُّها سندًا ولفظًا ما أخرجه الخطيبُ البغداديُّ في (الفيح والمنتقى: باب الزجر عن التسرع إلى الفتوى مخافة الزلل: ٢/ ٣٥١-٣٥٢ رقم ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣): وقال الخطيبُ عقبها:

«وإنما كان يقول هذا القول وقد انتهى الأمر إليه، وتعيّنت الفتوى عليه، وانقضت الفقهاء من الصحابة سواه، وحصل في جمع أكثرهم عامّة، ولولا ذلك ما بليي بما بليي به، ألا ترى أنه لم يقل هذا في عهد أبي بكر، ولا في عهد عمر، لأنه قد كان في ذلك الوقت جماعة يكفون أمر الفتوى». اهـ  
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في (منهاج السنة النبوية: ٨/ ٥٧-٥٨) في رده على الرافضي الذي استدلل بهذا الكلام المنسوب لعليّ - رضي الله عنه - على تفضيل عليّ على غيره من الصحابة وأحقّيته بالإمامة:

«لا ريب أن عليًّا لم يكن يقول هذا بالمدينة بين المهاجرين والأنصار الذين تعلموا كما تعلم، وعرفوا كما عرف، وإنما قال هذا لما صار إلى العراق وقد دخل في دين الإسلام خلق كثير لا يعرفون كثيرًا من الدين، وهو الإمام الذي يجب عليه أن يفتيهم ويعلمهم، فكان يقول لهم ذلك ليعلّمهم ويفتيهم، كما أن الذين تأخّرت حياتهم من الصحابة واحتاج الناس إلى علمهم نقلوا عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة لم ينقلها الخلفاء الأربعة ولا أكابر الصحابة؛ لأن أولئك كانوا مستغنين عن نقلها؛ لأن الذين عندهم قد علموها كما علموها، ولهذا يروى لابن عمر وابن عباس وعائشة وأنس وجابر وأبي سعيد ونحوهم من الحديث ما لا يروى لعليّ ولا لعمر، وعمر وعليّ أعلم من هؤلاء كلهم، لكن هؤلاء احتاج الناس إليهم؛ لكونهم تأخّرت وفاتهم، وأدركهم من لم يدرك أولئك السابقين، فاحتاجوا أن يسألوهم، واحتاج أولئك أن يعلموهم ويحدثوهم، فقول عليّ لمن عنده بالكوفة «سلوني»؛ هو من هذا الباب، لم يقل هذا لابن مسعود ومعاذ وأبي بن كعب وأبي الدرداء وسلمان وأمثالهم فضلًا عن أن يقول ذلك لعمر وعثمان، ولهذا لم يكن هؤلاء ممن يسألوه، فلم يسأل قط لا معاذ ولا أبي ولا ابن مسعود ولا من هو دونهم من الصحابة، وإنما كان يستفتيه المستفتي كما يستفتي أمثاله من الصحابة، وكان عمر وعثمان يُشاوران كما يُشاوران أمثاله، فكان عمر يُشاور في الأمور عثمان وعليًّا وطلحة =

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

وَنظَمَ المؤيِّدُ في ذلك فقال:

«وقول سلوني قبل فقدي ظاهرًا لا ظهر ما في الغيب من غامض السر»<sup>(١)</sup>

ويقول<sup>(٢)</sup>: «إن أسرار الغيب متفوقة على تعليم الأئمة من نسل فاطمة الزهراء، وهُم الكواكب والنجوم والمصابيح، ترسل نور المعرفة إلى قلوب أتباعهم، كما أنَّ العين المبصرة بدون القمر والشمس والمصباح لا تحقق الفائدة المرجوة، كذلك المسلم لا بد له من أن يستمد من الأئمة أنوار العلم والمعرفة، وإلا فإنَّ العقول وهداها لا تكفي، ويقول ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدًا، وإني لئن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»<sup>(٣)</sup>.

= والزُّبيرَ وعبدَ الرحمنِ بنَ عوفٍ وابنَ مسعودٍ وزيدَ بنَ ثابتٍ وأبا موسى وغيرَهم منَ الصحابةِ ، حتى كان يُدخِلُ ابنَ عباسٍ معهم مع صِغَرِ سنِّه، وهذا مما أمرَ اللهُ به المؤمنينَ ومدحهم عليه بقوله: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى : ٣٨] ، ولهذا كان رأيُ عُمَرَ وحُكْمُه وسياسَتُه من أسدِّ الأمور، فما رُؤْيَ بعده مثله قطُّ، ولا ظهر الإسلامُ وانتشرَ وعزَّ كظهوره وانتشاره وعزَّه في زَمَنه، وهو الذي كسَرَ كِسْرَى وقَصَرَ قَيْصَرَ والرومَ والفرسَ». اهـ

(١) «المجالس المؤيدية»: ٤١ / ١ .

(٢) المرجع السابق: ١٣٣ / ٣ .

(٣) حديثٌ صحيحٌ: أخرجه أحمدُ (المسند ١/١١٨) والنسائيُّ (السنن الكبرى ٨٠٩٢، ٨٤١٠) وغيرهما من حديثِ زيدِ بنِ أرقمَ، وهو حديثٌ صحيحٌ، (انظر السلسلة الصحيحة للألباني رقم ١٧٥٠). وهذا الحديثُ أهمُّ ما يَتَمَسَّكُ به (الرَّافِضَةُ) في حصرِهم العترةَ (أهلَ البَيْتِ) بعليٍّ وولده فقط، دونَ بقيَّةِ الآلِ منَ القرابةِ، ودونَ نساءِ النبيِّ ﷺ. وهو أيضا من أعظم أدلَّتِهِم في زعيمهم أَحَقِّيَّةِ عَلِيٍّ بالخِلافةِ =

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التبرؤية في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

ويقول مفسرًا قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾<sup>(١)</sup>، يقول<sup>(٢)</sup>: «إِنَّ

= دون الخلفاء الثلاثة قبله رضي الله عنهم جميعًا. وهذا تعسف في القول وشطح في الفهم كما سيأتي. وأصحُّ ألفاظ هذا الحديث جاءت في (صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل عليّ ٤/ ١٨٧٣ رقم ٣٦ / ٢٤٠٨) ونصه قال ﷺ:

«أَمَّا بَعْدُ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ! فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأَجِيبْ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوْهَمَا كِتَابَ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» (فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَبَ فِيهِ)، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «وَأَهْلُ بَيْتِي؛ أَدَّكْرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي أَدَّكْرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي أَدَّكْرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي».

قال المبار كفوري في «تحفة الأحوذى» نقلًا عن بعض أهل العلم: «عِزَّةُ الرَّجُلِ: أَهْلُ بَيْتِهِ وَرَهْطُهُ الْأَدْنَوْنَ، وَلَا سَعْمَاهُمْ [أي العرب] الْعِزَّةُ عَلَى أَنْحَاءِ كَثِيرَةٍ، بَيْنَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِهِ: «أَهْلُ بَيْتِي»؛ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ أَرَادَ بِذَلِكَ نَسْلَهُ وَعَصَابَتَهُ الْأَدْنَيْنِ وَأَزْوَاجَهُ، وَالْمَرَادُ بِالْأَخْذِ بِهِمُ: التَّمَسُّكُ بِمَحَبَّتِهِمْ وَحِفْظَةُ حُرْمَتِهِمْ وَالْعَمَلُ بِرِوَايَتِهِمْ وَالِإِعْتِيَادُ عَلَى مَقَالَتِهِمْ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُخَالِفًا لِلدِّينِ، وَهُوَ لَا يُتَابَى فِي أَخْذِ السُّنَّةِ مِنْ غَيْرِهِمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ فَتَلَوُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾». اه باختصار وإيضاح.

قلت: وهذا الحديث كقوله ﷺ: «تَرَكَتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضَلُّوا أَبَدًا: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّتِي». أخرجه الحاكم في (المستدرک ١/ ٩٣). وكقوله ﷺ: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّدِينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ». أخرجه أبو داود في (السنن رقم ٤٦٠٧). وكقوله ﷺ: «فَتَدُّوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ». أخرجه الترمذی في (السنن رقم ٣٦٦٢). وانظر (السلسلة الصحيحة للعلامة الألبانی: ٤/ ٣٥٥-٣٦١ رقم ١٧٦١).

(١) الأحزاب، الآية ٧٢.

(٢) «المجالس المؤيدية»: ١/ ٨٩-٢٠٣.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

الأمانةُ هي قولُ لا إلهَ إلا اللهُ، وأن كلمةَ الأمانةِ منقسمةٌ إلى جملةٍ وتفصيلٍ، فجعلتها متعلِّقةٌ بحقنِ الدِّماءِ وتحصيلِ الأموالِ، وتفصيلُها متعلِّقٌ بمنجاةِ الأرواحِ، وهذا التفصيلُ الذي شأنه صفةٌ وحيِّ صاحبِ الشريعةِ لكونِ أحدهما مؤيِّداً مجملاً والآخر مؤيِّداً مفصلاً، قال النَّبِيُّ ﷺ: «أنا وأنت يا عليُّ أبو المؤمنين، أبوهم المنور، وأمهم الرحمن»<sup>(١)</sup>، ويقول له<sup>(٢)</sup>: الشجرة الطيبة، قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أنا شجرةٌ، وفاطمةٌ حملها، وعليٌّ لقاها، والحسنُ والحسينُ عرثها، ومُحبُّونا أهلُ البيِّتِ ورَقُّها»<sup>(٣)</sup>.

• **النموذج الثاني:** من «ديوان» ابنِ هانئِ الأندلسيِّ شاعرِ الدَّولةِ الفاطميَّةِ:

من أبرز ما ذكِرَ فيه قوله - معبراً عن طاعةِ الإمامِ وفضله: «فلا دينَ لمن لا يحبُّ

الإمامَ، ومن أبغضه خاله الخسران المبين»، معبراً عن ذلك بالشعرِ التالي:

إمام رأيت مرتبطاً به      فطاعته فوزاً وعصيانه خسر

ويقولُ:

ما أنت دون ملوك العالم سوى روح      منَ القدس في جسم منَ البشر

(١) هذا الحديثُ لا يصحُّ عن النَّبِيِّ ﷺ.

(٢) «المجالس المؤيدية»: ٢٢ / ١.

(٣) هذا الحديثُ مُختلقٌ موضوعٌ لا يصحُّ عن النَّبِيِّ ﷺ، وقد حكَمَ عليه أهلُ العلمِ النَّقْدُ بالوضع؛

رواه ابنُ عَدِيٍّ في (الكامل في الضعفاء: ٢ / ٣٣٦ و ٤٥٩ / ٦)، ورواه من طريقه ابنُ الجوزيِّ في

(الموضوعات: ٥ / ٢)، وغيرهما من حديثِ عبدالرحمنِ بنِ عَوْفٍ رضي اللهُ عنه. انظر (سلسلة

الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني: ١٣ / ٦٢٠ رقم ٦٢٨٦).



ويظهرُ ابنُ هانئٍ تقديسَ الأئمَّةِ، فالأئمَّةُ عندهم مُقدَّسونَ، فيقولُ:

مَا شئتَ لا مَا شاءتِ الأقدارُ      فاحكم فأنت الواحد القهار  
وكأنما أنت النَّبيُّ مُحَمَّدٌ      وكأنما أنصارك الأنصار  
أنت الذي كانت تبشرنا به      في كتبها الأخبار والأخبار  
هذا إمام المتقين ومن به      قد دوخ الطغيان والكفار  
هذا الذي ترجى النجاة بحبه      وبه يحط الإصر والأوزار  
حتى إذا استدعاك أمر عبادة      أدنى إليه أباك إسماعيلاً  
ويقولُ:

ورث البرهان والتبيان      والفرقان والتوراة والإنجيل  
وعلمت من مكنون الله      ما لم يؤت جبريلاً وميكائيلاً  
ويقولُ:

فرزق عبادك منك فضل شفعتهم      وقرب بهم زلفاً فأنت مكينو  
أبناء فاطم هل لنا في حشرنا      لجا سواكم عاصم ومجار  
ويقولُ:

هذا ابن وحي الله تأخذ هويها      عند الملائك بكرة وأصيلاً  
ابنى النبوة هل نبادر غاية      ونقول فيكم ما قد قبالاً سبيلاً<sup>(١)</sup>

(١) «ديوان ابن هانئ»، جمع الإمام المنصور بالله شرف الله، وجمع وتحقيق مُحَمَّد البعلوي، وجمع عارف =

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

• **النموذج الثالث:** من كتابِ «السيرة المؤيدة» للمؤيدِ في الدِّينِ الشَّيرازيِّ:

ذَكَرَ فِيهِ مَنَاقِبَ أَهْلِ الْبَيْتِ وَلِزُومَ طَاعَةِ الْإِمَامِ، يَقُولُ: «وَجَعَلُوا النِّجَاةَ مَشْرُوطَةً بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «تَعَلَّمُوا مِنْ عَالِمِ أَهْلِ بَيْتِي، أَوْ مَنْ تَعَلَّمَ مِنْ عَالِمِ أَهْلِ بَيْتِي؛ تَنْجُوا مِنَ النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

• **النموذج الرابع:** من كتابِ «منهاج المجالس والمسائرات» للقاضي أبي حنيفة النُّعمانِ بنِ حَيَّوْنَ: وهذا الكتابُ يقعُ في ثلاثِ مجلداتٍ، وفيه ذَكَرُ حَيَاةَ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ، وَوَصَفُ قُصُورِهِمْ وَوَأَقْعَ حَيَاتِهِمْ. وَيُعَدُّ مَرَجَعًا مَهْمًا فِي اسْتِقْصَاءِ أَحْكَامِ أُمَّةِ آلِ الْبَيْتِ لِلرَّدِّ عَلَى خُصُومِ الْمَذْهَبِ الْإِسْمَاعِيلِيِّ، وَفِيهِ أَحْكَامٌ فِي الْقَضَاءِ وَالْفَقْهِ.

• يَقُولُ فِيهِ: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ نَظَرَ فِي سَاقِ الْعَرْشِ مَكْتُوبَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، أَيْدَتَهُ بَعْلِي وَأُورِثْتَهُ بِهِ»<sup>(٢)</sup>، فَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ، وَلَوْ

= تامر (إسماعيلي معاصر).

(١) حَدِيثٌ لَا يَصِحُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لِانْقِطَاعِ إِسْنَادِهِ: رَوَاهُ مُحَمَّدُ حَسِينُ الْأَعْلَى، مِنْ «تَرَاجِمِ الْأَعْلَامِ»:

ص ٣١٣، وَرَوَاهُ الْقَاضِي أَبُو حَنِيفَةَ النُّعْمَانُ بْنُ حَيَّوْنَ فِي كِتَابِهِ (دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ ١ / ٨٠) قَالَ: رَوَيْنَا عَنْ

جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الصَّادِقُ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْبَاقِرُ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ...

قُلْتُ: الْحَدِيثُ لَا يَصِحُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِانْقِطَاعِ إِسْنَادِهِ فِي مَوْضِعَيْنِ: الْأَوَّلُ: بَيْنَ الْمُؤَلِّفِ النُّعْمَانِ

وَجَعْفَرِ الصَّادِقِ. وَالثَّانِي: بَيْنَ مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ وَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. وَالْحَدِيثُ الْمُنْقَطِعُ - كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ - مِنْ

أَنْوَاعِ الْحَدِيثِ الضَّعِيفِ الَّذِي لَا تَقُومُ بِهِ حُجَّةٌ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا فِي دُنْيَا النَّاسِ.

(٢) حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ مَكْذُوبٌ؛ رُوِيَ عَنْ (خَمْسَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ)، هُمْ: أَبُو هُرَيْرَةَ، وَأَبُو الْحَمْرَاءِ، =

= وجابر بن عبدالله، وابن عباس، وأنس بن مالك - رضي الله عنهم -؛ بألفاظٍ متقاربة:

[١] - رواية أبي هريرة رضي الله عنه: وهو أثرٌ من قوله وليس من قول النبي ﷺ:

رواه ابن عساکر في (تاريخ دمشق ٤٢ / ٣٦٠)، والذهبي في (الميزان: ٢ / ٣٨٢) ترجمة: عباس بن بكار الضبيّ) من طريق عباس هذا، عن خالد بن أبي عمرو الأزديّ (ليس له ترجمة أي مجهول)، عن الكلبيّ (هو محمد بن السائب مُتهم بالكذب)، عن أبي صالح، عن أبي هريرة (موقوفاً)، ولفظة: «مكتوب على العرش لا إله إلا الله وحدي لا شريك لي ومحمد عبدي ورسولي أيدته بعلي وذلك قوله في كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِبَصْرِهِ وَإِلَٰهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢]: علي وحده». وحكم عليه الذهبي بأنه من أباطيل عباس الضبيّ، وذكر أنه كذاب مُتهم بوضع الحديث.

قلت: والإسناد فيه أيضاً مجهولٌ وكذابٌ آخر كما تقدم، فهو ظلماتٌ بعضها فوق بعض!

ثم إنهم يتهمون الصحابيّ الجليل أبا هريرة ببغض آل البيت والكذب في الحديث فكيف يروي فضيلةً لعليّ، أليس هذا تناقضاً يا أقلّ الناس عقلاً؟

وقد ذكر هذا الأثر الرافضيّ عبد الحسين صاحب الكتاب المخترع المتحلل «المراجعات» (في المراجعة رقم ٤٨ فقرة رقم ١٦)، الذي يزعم أنّ المناظرات التي فيه جرت بينه وبين شيخ الأزهر سليم البشريّ . وقد ذكره قبله بقرون الرافضيّ ابن المطهر - وعزاه لأبي نعيم دون تحديد الكتاب - محتجاً به على وجوب إمامة عليّ قبل الخلفاء الثلاثة الذين تقدّموه، وأنّ الله آتد الرسول ﷺ بعليّ فقط دون سائر الصحابة، فردّ عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الجليل (منهاج السنة النبوية: ٧ / ١٩٤ - ٢٠٠) وأبطل هذا الزعم من عدّة أوجه سنداً ومتناً، ويبيّن أنه حديثٌ موضوعٌ، وكشف عن نكارة المتن، وأفحم الرافضة بالحجّة كما هي العادة، وسيأتي قوله كاملاً في نهاية التعليق.

[٢] - رواية أبي الحمراء خادم رسول الله ﷺ، جاءت من طريقين ساقطين:

- (الطريق الأول): أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير: ٢٢ / ٢٠٠ رقم ٥٢٦)، وابن عساکر في

(تاريخ دمشق ١٦ / ٤٥٦)، كلاهما من طريق عبادة بن زياد الأسديّ، عن عمرو بن ثابت بن أبي المقدم، =

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

= عن أبي حمزة الثماليِّ ثابت بن أبي صفية الكوفيِّ، عن سعيد بن جبَّير، عن أبي الحمراء به.  
ولفظُ الطبرانيِّ: «لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة فرأيت في ساق العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي ونصرته».

ولفظُ ابنِ عساکرَ: «لما أسري بي رأيت في ساق العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله صفوتي من خلقي أيدته بعلي ونصرته به».

وهو حديثٌ موضوعٌ مُسلسلٌ بالرافضة، وهم :

- أبو حمزة الثماليُّ: مُتَّفَقٌ على تضعيفه، بل قال الدَّارِقُطَنِيُّ [في سؤالاتِ البرقانيِّ رقم ٦٤]:  
«مَتْرُوكٌ». وقال ابنُ جِبَّانَ [في المجروحين ١/٢٠٦]: «كان كثيرَ الوهمِ في الأخبارِ حتى خرجَ عن حَدِّ الاحتجاجِ به إذا انفرد؛ مع غُلُوِّه في تشيُّعه».

- عمرو بن ثابت بن هرْمَزَ الكوفيِّ: قال ابنُ مَعِينٍ: «ليس بشيءٍ». وقال مرَّةً: «ليس بثقةٍ ولا مأمونٍ». وقال النَّسَائِيُّ: «مَتْرُوكُ الحديثِ». وقال ابنُ جِبَّانَ [المجروحين ٢/٧٦]: «يروي الموضوعات لا محلُّ ذكره إلا على سبيلِ الاعتبارِ». وقال المِهْنَبِيُّ في (مجمع الزوائد ٩/١٢١): «فيه عمرو بنُ ثابتٍ، وهو مَتْرُوكٌ».

- عبادة بن زيادِ الأَسديِّ: شيعيٌّ مُختلفٌ فيه. وأشار إليه الحافظُ في (اللسان ٢/٢٦٩ - ترجمة الحسين بن إبراهيم الباي) وقال: «واهِ عن أبي الحمراء». وحكمَ عليه الألبانيُّ بالوضعِ في (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١٠/٥٤٤ رقم ٤٩٠٢).

- (الطريق الثاني): رواه أبو نُعَيْمٍ في (حِلْيَةِ الأولياءِ: ٣/٢٧) بإسناده من طريقِ أحمد بن الحسن الكوفيِّ، عن إسماعيل بن عُليَّة، عن يونس بن عُبيد، عن سعيد بن جبَّير، عن أبي الحمراء به، ولفظه: «رأيت ليلة أسري بي مثبتا على ساق العرش أنا غرست جنة عدن محمد ﷺ صفوتي من خلقي أيدته بعلي».

ثم قال أبو نُعَيْمٍ عقبه منبِّها إلى بعضِ علله: «غريبٌ من حديثِ يونس عن سعيد، لم نكتبه إلا من هذا الوجه». وأورده ابنُ الجوزيِّ في (العللِ المتناهية ١/٢٣٤ رقم ٣٧٨) من طريقِ أبي نُعَيْمٍ وقال: «هذا حديثٌ لا يصحُّ؛ قال ابنُ جِبَّانَ [المجروحين ١/١٤٥]: أحمد بنُ الحسن [بن القاسم] الكوفيُّ [كان بمصر] =

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

= يضعُ الحديثَ [على الثقاتِ، لا يحلُّ ذكرُه إلَّا على سبيلِ القدحِ فيه]. وقال الدَّارِقُطِيُّ [في الضعفاءِ رقم ٥٠]: متروكٌ.

[٣] - روايةُ جابرِ بنِ عبدِاللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

أخرجه العُقَيْلِيُّ في «الضعفاءِ» في موضعين، الأول: (ج ١: ترجمة رقم ١٥: أشعث بن عم حسن بن صالح). الثاني: (ج ٢: ترجمة رقم ٥٤٠: زكريا بن يحيى الكسائي): قال في الموضوعين: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا زكريا بن يحيى الكسائي قال: حدثنا يحيى بن سالم قال: حدثنا أشعث بن عم حسن بن صالح قال: حدثنا مسعر، عن عطية العوفي، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «مكتوب على باب الجنة لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيده بعلي قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي سنة». قال العُقَيْلِيُّ: «وزكريا الكسائي ويحيى بن سالم ليسا بدون أشعث في الأسانيد».

وأورده ابنُ الجوزيِّ في (العللِ المتناهية: ١/ ٢٣٥ رقم ٣٧٩) من طريقِ العُقَيْلِيِّ وأقره.

قلتُ: زكريا الكسائيُّ ساقطٌ؛ قال النسائيُّ في (الضعفاء ٢١١): «متروكٌ». وكذا قال الدَّارِقُطِيُّ في (الضعفاء ٢٤٠)، وقال ابنُ عَدِيِّ في (الكامل ٣/ ٧١٢): «أكثرُ الأحاديثِ التي يرويها في فضائلِ أهلِ البيتِ التي يقعُ فيها النكرةُ ومثالبُ غيرهم من الصحابةِ التي كلُّها موضوعاتٌ، وهذا الذي قال ابنُ معين: «يحدِّثُ بأحاديثٍ سوءٍ»؛ إنما يرويه في مثالبِ الصحابةِ».

[٤] - روايةُ ابنِ عباسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لم أقف عليه مُسنَدًا، لكن ذكره ابنُ حَبَّانٍ في

(المجروحين ٢/ ٢٨٩) معلقًا فقال:

«مُحمَّدُ بنُ أبي الزعيزعة؛ شيخٌ يروي عن أبي المُلَيْحِ الرَّقِيِّ، روى عنه أهلُ العراقِ، دَجَّالٌ مِنَ الدَّجَاجِلَةِ، كان يروي الموضوعاتِ، وهو الذي روى عن أبي المُلَيْحِ، عن مَيْمُونِ بنِ مِهْرَانَ، عن ابنِ عباسٍ قال: «جاء النبيُّ ﷺ جوعًا شديدًا، فنزل جبريلُ وفي يده لوزةٌ، فناوله إياها ففكها، فإذا فريدةٌ خضراءٌ عليها مكتوبٌ بالنورِ: لا إله إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رسولُ اللهِ أيده بعليٍّ ونصرته به، ما آمنَ بي مَنْ أتممني في قضائي واستبطاني في رزقه». وأورده ابنُ الجوزيِّ في (العللِ المتناهية: ١/ ٢٣٥ رقم ٣٨٠) وقال: «هذا لا يصحُّ» =

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

= قال البخاريُّ: ابنُ أبي الزعيرة منكرُ الحديثِ جدًّا، لا يُكتبُ حديثُهُ.

[٥] — روايةُ أنسٍ رضيَ اللهُ عنه:

رواه الخطيبُ البغداديُّ في (تاريخه: ١١/١٧٣، ترجمة: عيسى بن محمد بن عبد الله أبو موسى البغدادي) بإسناده إلى ابنِ عديِّ قال: حدثنا عيسى بنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَبُو موسى البغداديُّ بِدَمَشَقَ: حدثنا الحسينُ بنُ إبراهيمَ البائيُّ: حدثنا مُحَمَّدُ الطويلُ، عن أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ الله: «لما عرَّجَ بي رأيتُ على ساقِ العرشِ مكتوبًا: لا إلهَ إلا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ، أيدتهُ بعليٌّ». وذكرَ الحافظُ الحديثَ في (اللسان ٢/٢٦٩ ترجمة الحسينِ البائيِّ)، ونقلَ عن ابنِ عديِّ قولَهُ: «هذا حديثٌ باطلٌ والحسينُ مجهولٌ». اهـ.

وقال الدَّهبيُّ في (الميزان ١/٥٣٠): «هذا اختلاقٌ بينٌ». وأقرَّ ذلك الحافظُ في «اللسان».

فثبتَ بعدَ هذه الدراسةِ لهذا الحديثِ برواياته (الخمسةَ عنِ الصَّحابةِ) أنه ساقطٌ وإِه لا تقومُ به حُجَّةٌ.

أما مَنتهُ فهو مُنكرٌ باطلٌ لمخالفتهِ لقولِ اللهِ تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِصَبْرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ \* وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَأَوْا أَنَّ اللَّهَ تَحْتَهُ كَأَنَّ الْأَصْفَادَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣]؛ فإنَّ اللهَ تعالى ذَكَرَ أَنَّهُ آتَاكَ بِصَبْرِهِ، ثُمَّ بجماعةِ المؤمنينَ، وليس بمؤمنٍ واحدٍ فقط، ويؤكِّدهُ قولُهُ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَأَوْا أَنَّ اللَّهَ تَحْتَهُ كَأَنَّ الْأَصْفَادَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ﴾، فقولُهُ (قُلُوبِهِمْ) يدلُّ على جماعةِ المؤمنينَ. ولا ريبَ أنَّ التأييدَ كان من المهاجرينَ والأنصارِ سواء، وهذا ظاهرٌ وصريحُ الآيةِ الكريمةِ وإن رَغِمَتْ أنوفُ الفرسِ الرافضةِ وأتباعهم من المنافقينَ ضعفاءِ العقلِ والنقلِ واللُّغةِ.

ويوضحُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةٍ بطلانَ متنِ الحديثِ بأدلةٍ شرعيَّةٍ وعقليَّةٍ لا يستطيعُ إنكارها إلا مَنْ

حُرِمَ نعمةَ العقلِ، فيقولُ رَحِمَهُ اللهُ في كتابهِ الجليلِ (منهاجِ السُّنَّةِ النَّبويَّةِ: ٧/١٩٤-٢٠٠):

«الجوابُ من وجوه: أحدها: المطالبةُ بصحَّةِ النقلِ، وأما مجردُ العزوِ إلى روايةِ أبي نُعَيْمٍ فليس حجةً

بالاتفاقِ، وأبو نُعَيْمٍ له كتابٌ مشهورٌ في فضائلِ الصَّحابةِ، وقد ذَكَرَ قطعةً من الفضائلِ في أولِ [كتابهِ]

«الحليَّة»، فإن كانوا [أي الرافضة] يحتجون بما رواه؛ فقد روى في فضائلِ أبي بكرٍ وعُمَرَ وعُثمانَ ما ينقضُ

بُنيانَهُم ويهدمُ أركانَهُم، وإن كانوا لا يحتجون بما رواه فلا يعتمدون على نقلهِ، ونحن نرجعُ فيما رواه هو =

= وغيره إلى أهل العلم بهذا الفن والطرق التي بها يُعلم صدق الحديث وكذبه من [خلال] النظر في إسناده ورجاله، وهل هم ثقاتٌ سمع بعضهم من بعض أم لا، وننظر إلى شواهد الحديث وما يدل عليه على أحد الأمرين، لا فرق عندنا بين ما يروى في فضائل عليٍّ أو فضائل غيره، فما ثبت أنه صدق صدقناه، وما كان كذباً كذبناه، فنحن نجيب بالصدق ونصدق به ولا نكذب صادقاً، وهذا معروف عند أئمة السُّنَّة، وأما من افترى على الله كذباً أو كذب بالحق فعلياً أن نكذبه في كذبه ونكذبه للحق كأتباع مُسيلمة الكذاب والمكذبين بالحق الذي جاء به الرسول ﷺ] واتبعه عليه المؤمنون به [مثل] صديقه الأكبر [أبو بكر] وسائر المؤمنين. ولهذا نقول في الوجه الثاني: إن هذا الحديث كذبٌ موضوعٌ باتفاق أهل العلم بالحديث، وهذا الحديث وأمثاله مما جرّمنا [و] نشهد أنه كذبٌ موضوعٌ، فنحن والله الذي لا إله إلا هو! نعلم علماً ضرورياً في قلوبنا لا سبيل لنا إلى دفعه أن هذا الحديث كذبٌ ما حدث به أبو هريرة، وهكذا نظائرُه مما نقول فيه مثل ذلك، وكلُّ من كان عارفاً بعلم الحديث وبدين الإسلام يعرف [أنه كذب]، وكلُّ من لم يكن له بذلك علمٌ لا يدخل معنا، كما أن أهل الخبرة بالصرف [أي بالنقود الذهبية والفضية] يملفون على ما يعلمون أنه مغشوش، وإن كان من لا خبرة له لا يميز بين المغشوش والصحيح». اهـ

ومن العجب أن (الرافضيّ ابن المطهر الحليّ) زعم أن قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني بعليٍّ فقط، فانبرى له أسد السُّنَّة الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية في (منهاج السُّنَّة ٧ / ١٩٦) - مُستكملاً ذكر وجوه الأدلة الثقلية والعقلية التي يبطل بها استشهادُه بهذا الحديث المكذوب الساقط وبهذه الآية - راداً عليه تحريفه وإلحاده في آيات الله، فقال رحمه الله مُفسراً لهذه الآية الكريمة: «هذا نصٌّ في أن المؤمنين عددٌ مؤلَّف بين قلوبهم، وعليٌّ واحدٌ منهم ليس له قلوبٌ يؤلَّف بينها [أي له قلبٌ واحد]، والمؤمنون صيغةٌ جمع، فهذا نصٌّ صريحٌ لا يحتمل أنه أراد به واحداً مُعيّناً، وكيف يجوز أن يقال: المراد بهذا عليٌّ وحده؟

الوجه الرابع: أن يقال: من المعلوم بالضرورة والتواتر أن النبي ﷺ ما كان قياماً دينه بمجرد موافقة عليٍّ، فإن عليّاً كان من أول من أسلم، فكان الإسلام ضعيفاً. فلولا أن الله هدى من هداه إلى الإيمان والهجرة والنصرة؛ لم يحصل بعليٍّ وحده شيءٌ من التأييد. ولم يكن إيمان الناس وهجرتهم ولا نصرتهم على يد =

= علي. ولم يكن علي منتصبًا لا بمكة ولا بالمدينة للدعوة إلى الإيمان كما كان أبو بكر منتصبًا لذلك. ولم يُنقل أنه أسلم على يد علي أحد من السابقين الأولين لا من المهاجرين ولا من الأنصار، بل لا نعرف أنه أسلم على يد علي أحد من الصحابة، لكن لما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن قد يكون قد أسلم على يديه من أسلم إن كان وقع ذلك، وليس أولئك من الصحابة، وإنما أسلم أكبر الصحابة على يد أبي بكر. ولا كان [علي] يدعو المشركين ويناظرهم كما كان أبو بكر يدعوهم ويناظرهم، ولا كان المشركون يخافونه كما يخافون أبا بكر وعمر، بل قد ثبت في الصحاح والمسند والمغازي واتفق عليه الناس: أنه لما كان يوم أُحُدٍ وانهمز المسلمون، صعد أبو سفيان على الجبل وقال: أفي القوم محمد أفي القوم محمد؟ فقال النبي ﷺ: «لا تجيؤه». فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة أفي القوم ابن أبي قحافة؟ فقال النبي ﷺ: «لا تجيؤه». فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال النبي ﷺ: «لا تجيؤه». فقال لأصحابه: «أما هؤلاء فقد كفيتهم». فلم يملك عمر رضي الله عنه نفسه أن قال: كذبت يا عدو الله، إن الذين عددت لأحياء، وقد بقي لك ما يسوؤك. فقال: يوم بيوم بدر. فقال عمر: لا سواء قتلتنا في الجنة وقتلناكم في النار. ثم أخذ أبو سفيان يرتجز ويقول: اعل هبل اعل هبل. فقال النبي ﷺ: «ألا تجيؤه؟ فقالوا: وما نقول؟ قال: «قولوا الله أعلى وأجل». فقال: إن لنا العزى ولا عزى لكم. فقال النبي ﷺ: «ألا تجيؤه؟ فقالوا: وما نقول؟ قال: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم». فقال: ستجدون في القوم مثله لم أمر بها، ولم تسؤني». فهذا جيش المشركين إذ ذاك، لا يسأل إلا على النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، فلو كان القوم خائفين من علي أو عثمان أو طلحة أو الزبير أو نحوهم، أو كان للرسول تأكيد بهؤلاء كتأييده بأبي بكر وعمر؛ لكان يُسأل عنهم كما يُسأل عن هؤلاء، فإن مقتضى السؤال قائم والمانع مُنتفٍ، ومع وجود القدرة والداعي، وانتفاء الصارف يجب معه وجود الفعل.

الوجه الخامس: أنه لم يكن لعلي في الإسلام أثر حسن إلا ولغيره من الصحابة مثله، ولبعضهم آثار أعظم من آثاره، وهذا معلوم لمن عرف السيرة الصحيحة الثابتة بالنقل، وأما من يأخذ بنقل الكذابين وأحاديث الطرقيية؛ فباب الكذب مفتوح، وهذا الكذب يتعلق بالكذب على الله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا أو كذب بالحق لما جاءه؟ ومجموع المغازي التي كان فيها القتال مع النبي ﷺ تسع مغازٍ، والمغازي =



أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التُّرْبُوويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصْرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

شئنا أن نقول إن كنا مع آدم لقلنا»<sup>(١)</sup>.

ويقول في معرفة الإمام وفضله ووجوب طاعته: «أما والله فإنكم بتوليكم أينا كلكم من أهل الجنة، وإنا لظمنونا بكم عند الله<sup>(٢)</sup> ووجوب معرفة الإمام دلالة من حديث النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ؛ مَاتَ مِيتَةَ الْجَاهِلِيَّةِ»<sup>(٣)</sup>.

= كلُّها بضعٌ وعشرونَ غزاةً، وأما السرايا فقد قيل إنها تبلغُ سبعينَ، ومجموعُ مَنْ قُتِلَ مِنَ الكفَّارِ في غزواتِ الرسولِ ﷺ يبلغون ألفاً أو أكثرَ أو أقل، ولم يَقْتُلْ عليٌّ منهم عَشْرَهُمْ ولا نصفَ عَشْرِهِمْ، وأكثرُ السرايا لم يكنْ يخرجُ فيها، وأما بعدَ النَّبِيِّ ﷺ فلم يشهدْ شيئاً مِنَ الفُتُوحَاتِ لا هو ولا عثمانُ ولا طلحةُ ولا الزبيرُ، إلا أن يخرجوا مع عمرَ حينَ خرجَ إلى الشامِ، وأما الزبيرُ فقد شهدَ فتحَ مِصْرَ، وسعدُ شهدَ فتحَ القادسيَّةِ، وأبو عبيدةَ فتحَ الشامِ، فكيف يكونُ تأييدُ الرسولِ بواحدٍ من أصحابِهِ دونَ سائرِهِم والحالُ هذه؟ وأين تأييدُهُ بالمؤمنينَ كلِّهِم مِنَ السابقينَ الأولينَ مِنَ المهاجرينَ والأنصارِ الذينَ بايعوه تحتَ الشجرةِ والتابعينَ لهم بإحسانٍ؟ وقد كان المسلمونَ يومَ بدرٍ ثلاثمائةَ وثلاثَ عشرَ، ويومَ أُحُدٍ نحوَ سبعمائةٍ، ويومَ الخندقِ أكثرَ من ألفٍ أو قريباً من ذلك، ويومَ بيعةِ الرضوانِ ألفاً وأربعَ مائةٍ وهم الذينَ شهدوا فتحَ خيبرِ، ويومَ فتحِ مكةَ كانوا عشرةَ آلافٍ، ويومَ حُتَيْنَ كانوا اثني عشرَ ألفاً، تلكَ العشرةُ [أي من فتحوا مكةَ] والطلاقُ ألفانَ، وأما تبوكُ فلا يُحصى مَنْ شهدَها بل كانوا أكثرَ من ثلاثينَ ألفاً، وأما حجةُ الوداعِ فلا يُحصى مَنْ شهدَها معه، وكان قد أسلمَ على عهدهِ أضعافُ مَنْ رآه ﷺ]، وكان من أصحابِهِ وأيدَهُ اللهُ بهم في حياتهِ باليمنِ وغيرها، وكلُّ هؤلاءِ من المؤمنينَ الذينَ أيدَهُ اللهُ بهم، بل كلُّ مَنْ آمَنَ وجاهدَ إلى يومِ القيامةِ دخلَ في هذا المعنى». انتهى كلامُ شيخِ الإسلامِ.

(١) «السيرة المؤيدية»: ص ٢١.

(٢) المرجع السابق: ص ٤٢.

(٣) هذا الحديثُ بهذا اللَّفْظِ لا يصحُّ سنداً ولا متناً ولا أصلَ له: يذكُرُه الرافضةُ عامَّةً في مُصنِّفاتِهِم

دونَ إسنادٍ، على عاداتِهِم في اختلاقِ الأحاديثِ ونسبِها كذباً وزوراً إلى رسولِ اللهِ ﷺ وآلِ بيتِهِ، =

= وهم منها براء؛ فيقولون: «عن أبي عبد الله وهو جعفر الصادق عن آبائه عن رسول الله». هذا هو إسنادهم الذي بنوا عليه دينهم الجديد، والحقيقة أن مؤلفي الرافضة لم يسمعو من جعفر؛ لأنه مات قبل أن يولدوا بسنين، فكل ما جاء عنه هو من قبيل الأحاديث المكذوبة الموضوعية. وقد كذبوا على (جعفر) أيضا؛ فنسبوا إليه كتباً يزعمون أنه صنفها.

والرافضة كانوا إذا ألقى إليهم (الشيطان) شبهة، أو اشتبهوا إضافة شيء إلى الشريعة، أو أرادوا إثبات فضيلة لأنتمهم وشيوخهم أو منقبة أو معجزة أو كرامة؛ فإنهم يصطنعون ذلك في روايات وينسبونها إلى (جعفر الصادق) بهذا الإسناد الضعيف المنقطع.

وقد أورد هذا الحديث الرافضي ابن المطهر في كتابه «منهاج الكرامة»، فردّ عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بقذيفة من قذائف الحق في كتابه «منهاج السنة النبوية: ١/ ١١٠-١٢٣»، يطلعه نقلاً وعقلاً، وسأنقل كلامه بطوله لأهميته، وأضمنه بعض الكلمات بين قوسي الزيادة هذين [ ] للإيضاح وبيان المصادر، قال رحمه الله تعالى:

«قوله [أي الرافضي]: فقال رسول الله ﷺ: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية». يقال له أولاً: من روى هذا الحديث بهذا اللفظ؟ وأين إسناده؟ وكيف يجوز أن يحتج بنقل عن النبي ﷺ من غير بيان الطريق الذي به يثبت أن النبي ﷺ قاله؟ وهذا لو كان مجهول الحال عند أهل العلم بالحديث؛ فكيف وهذا الحديث بهذا اللفظ لا يعرف، إنما الحديث المعروف مثل ما روى مسلم في «صحيحه» [٣/ ١٤٧٨ كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن] عن نافع قال: جاء عبد الله بن عمر رضي الله عنه إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرّة ما كان زمن يزيد ابن معاوية، فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة. فقال: إني لم آتكم لأجلس؛ أتيتك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله ﷺ يقوله: سمعته يقول: «من خلع يداً من طاعة؛ لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة؛ مات ميتة جاهلية».

وهذا [الحديث] حدث به عبد الله بن عمر لعبد الله بن مطيع بن الأسود لما خلعوا طاعة أمير =

= وقيهم يزيد، مع أنه كان فيه من الظلم ما كان، ثم إنه اقتتل هو وهم، وفعل بأهل الحرّة أموراً منكراً. فعلم أن هذا الحديث دل على ما دل عليه سائر الأحاديث الآتية: من أنه لا يُخرج على ولاة أمور المسلمين بالسيف، وأن من لم يكن مطيعاً لولاة الأمور مات ميتة جاهليّة.

وهذا ضد قول الرافضة؛ فإنهم أعظم الناس مخالفة لولاة الأمور، وأبعد الناس عن طاعتهم إلا كرهاً، ونحن نطالبهم أولاً بصحة النقل، ثم بتقدير أن يكون ناقله واحداً، فكيف يجوز أن يثبت أصل الإيمان بخبر مثل هذا الذي لا يعرف له ناقل، وإن عُرف له ناقل أمكن خطؤه وكذبه، وهل يثبت أصل الإيمان إلا بطريق علمي.

[ثم قال شيخ الإسلام]: إن كان هذا الحديث من كلام النبي ﷺ فليس فيه حجة لهذا القائل؛ فإن النبي ﷺ قد قال [ما معناه]: من مات ميتة جاهليّة في أمور ليست من أركان الإيمان التي من تركها كان كافراً. كما في «صحيح مسلم»: [٣/١٤٧٨] كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين] عن جندب البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل تحت راية عمية يدعو عصبية أو ينصر عصبية فقتله جاهليّة». وهذا الحديث يتناول من قاتل في العصبية، والرافضة رءوس هؤلاء، ولكن لا يكفر المسلم بالقتال في العصبية كما دل على ذلك الكتاب والسنة، فكيف يكفر بها هو دون ذلك. وفي «صحيح مسلم» [٣/١٤٧٦-١٤٧٧] الكتاب والباب السابقان] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات؛ مات ميتة جاهليّة». وهذا حال الرافضة فإنهم يخرجون عن الطاعة ويفارقون الجماعة. وفي «الصحيحين»: [خ ٧٠٥٣، م ٣/١٤٧٧]، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه؛ فإن من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهليّة». وفي لفظ: «من كره من أميره شيئاً فليصبر؛ فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهليّة». وهذه النصوص مع كونها صريحة في حال الرافضة فهي وأمثالها المعروفة عند أهل العلم لا بذلك اللفظ الذي نقله [الرافضي].

[ثم قال شيخ الإسلام]: إن هذا الحديث الذي ذكره حجة على الرافضة؛ لأنهم لا يعرفون =

= إمام زمانهم، فإنهم يدعون أنه الغائب المنتظر محمد بن الحسين [العسكر] الذي دخل سرداب سامرا سنة ستين وميتين أو نحوها، ولم يميز بعد، بل كان عمره إما ستين أو ثلاثاً أو خمساً أو نحو ذلك وله الآن على قلوبهم أكثر من أربعمئة وخمسين سنة، ولم ير له عين ولا أثر ولا سميع له حس ولا خبر، فليس فيهم أحد يعرفه لا بعينه ولا صفته، لكن يقولون: (إن هذا الشخص - الذي لم يره أحد ولم يسمع له خبر - هو إمام زمانهم). ومعلوم أن هذا ليس هو معرفة بالإمام، ونظير هذا أن يكون لرجل قريب من بني عمه في الدنيا ولا يعرف شيئاً من أحواله، فهذا [في حقيقة الحال] لا يعرف ابن عمه. وكذلك المأل الملتقط إذا عرف أن له مالكا ولم يعرف عينه؛ لم يكن عارفاً لصاحب اللقطة، بل هذا أعرف؛ لأن هذا يمكن ترتيب بعض أحكام الملك والنسب عليه، وأما [إمامهم المزعوم] المنتظر فلا يعرف له حال يُتَمَعُّ به في الإمامة، فإن معرفة الإمام الذي يُخرج الإنسان من الجاهلية هي المعرفة التي يحصل بها طاعة وجماعة، خلاف ما كان عليه أهل الجاهلية، فإنهم لم يكن لهم إمام يجمعهم ولا جماعة تعصمهم، والله تعالى بعث محمداً ﷺ وهداهم به إلى الطاعة والجماعة، وهذا المنتظر لا يحصل بمعرفته طاعة ولا جماعة، فلم يُعرف معرفة تُخرج الإنسان من حال الجاهلية، بل المنتسبون إليه أعظم الطوائف جاهلية وأشبههم بالجاهلية، وإن لم يدخلوا في طاعة غيرهم - إما طاعة كافر وإما طاعة مُسلم هو عندهم من الكفار أو النواصب - لم ينتظم لهم مصلحة؛ لكثرة اختلافهم وافتراقهم وخروجهم عن الطاعة والجماعة.

وهذا يتبين بالوجه [الآتي]: وهو أن النبي ﷺ أمر بطاعة الأئمة الموجودين المعلومين، الذين لهم سلطان يقدرون به على سياسة الناس، لا بطاعة معدوم ولا مجهول ولا من ليس له سلطان ولا قدرة على شيء أصلاً [كهذا الإمام الغائب المزعوم]. كما أمر النبي ﷺ بالاجتماع والائتلاف، ونهى عن الفرقة والاختلاف، ولم يأمر بطاعة الأئمة مطلقاً، بل أمر بطاعتهم في طاعة الله دون معصيته، وهذا يبين أن الأئمة الذين أمر بطاعتهم في طاعة الله ليسوا معصومين؛ ففي «صحيح مسلم»: [٣/ ١٤٨١ - ١٤٨٢] «عن عوف بن مالك الأشجعي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خيار أئمتكم الذين تُجسبونهم ويُجسبونكم، وتُصلون عليهم ويُصلون عليكم، وتُبرأون أئمتكم الذين تُبغضونهم =

= وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتُلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفَلَا تُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، أَلَا: مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَأَهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ؛ فَلْيَكْرَهُ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ». وفي «صحيح مسلم: [٣/ ١٤٨٠-١٤٨١]»  
 عن أم سلمة أن رسول النبي ﷺ قال: «سَتَكُونُ أَمْرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ عَرَفَ بَرِيءًا، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِيمًا، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ». قالوا: أَفَلَا نَقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «لَا مَا صَلَّوْا».

وهذا يبين أن الأئمة هم الأمراء ولاة الأمور، وأنه يكره وينكر ما يأتونه من معصية الله، ولا تُنزع اليد من طاعتهم، بل يُطاعون في طاعة الله، وأن منهم خيارًا وشرارًا، من يُحِبُّ ويُدعى له، وُيُحِبُّ النَّاسَ ويدعو لهم، ومن يبغض ويدعو على الناس، ويبغضونه ويدعون عليه.

وفي «الصحيحين: [خ ٤/ ١٦٩، م ٣/ ١٤٧١]» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَتَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ». قالوا: فما تأمرنا؟ قال ﷺ: «فُوا بِيَعَةَ الْأَوَّلِ فَأَلَّوْا، وَأَعْطَوْهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَأَلَهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ». فقد أخبر ﷺ أن بعده خلفاء كثيرين، وأمر أن يوفي بيعة الأول فالأول، وأن يعطوهم حَقَّهُمْ. وفي «الصحيحين: [خ ٩/ ٤٧، م ٣/ ١٤٧٠]» عن عبد الله بن مسعود قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدِي أُمَّةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا». قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «أَدُوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ وَسَلُّوا اللَّهَ حَقَّكُمْ». وفي لفظ: «سَتَكُونُ أُمَّةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا». قالوا: يا رسول الله! فما تأمرنا؟ قال ﷺ: «تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ». وفي «الصحيحين: [خ ٩/ ٤٧، م ٣/ ١٤٧٠]» عن عبادة بن الصامت قال: «بَابِعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَعَلَى أُمَّةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَنْ لَا تُنَازَعَ الْأَمْرَ أَهْلُهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمًا». وفي الصحيحين: [خ ٩/ ٦٣، م ٣/ ١٤٦٩]» عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ». فإن قال [الرافضي]: أنا أردت بقولي «إنها أهم المطالب في الدين وأشرف مسائل المسلمين» =

= المطالب التي تنازعت الأمة فيها بعد النبي ﷺ وهذه هي مسألة الإمامة.

قيل له: فلا لفظً فصيحٌ ولا معنىً صحيحٌ، فإن ما ذكرته لا يدلُّ على هذا المعنى، بل مفهوم اللفظٍ ومقتضاهُ أنها أهمُّ المطالبِ في الدينِ مطلقاً وأشرفُ مسائلِ المسلمينِ مطلقاً. وبتقديرٍ أن يكونَ هذا مرادك؛ فهو معنى باطلٌ، فإنَّ المسلمينَ تنازعوا بعدَ النبيِّ ﷺ في مسائلٍ أشرفَ من هذه، وبتقديرٍ أن تكونَ هي الأشرفُ؛ فالذي ذكرته فيها أبطلُ المذاهبِ وأفسدُ المطالبِ، وذلك أنَّ النزاعَ في الإمامةِ لم يظهرَ إلا في خلافةِ عليٍّ رضي اللهُ عنه، وأما على عهدِ الخلفاءِ الثلاثةِ فلم يظهرَ نزاعٌ إلا ما جرى يومَ السَّقِيَّةِ، وما انفصلوا حتى اتفقوا، ومثل هذا لا يُعدُّ نزاعاً، ولو قُدِّرَ أنَّ النزاعَ فيها كانَ عقبَ موتِ النبيِّ ﷺ؛ فليس كلُّ ما تُنوزعُ فيه عقبَ موتهِ ﷺ يكونُ أشرفَ مما تُنوزعُ فيه بعدَ موتهِ بدهرٍ طويلٍ. وإذا كانَ كذلك؛ فمعلومٌ أنَّ مسائلَ القدرِ، والتَّعديلِ والتَّجويرِ، والتَّحسينِ والتَّقيحِ، والتوحيدِ والصفاتِ، والإثباتِ والتنزيهِ [هي] أهمُّ وأشرفُ مِن مسائلِ الإمامةِ. ومسائلُ الأسماءِ والأحكامِ والوعدِ والوعيدِ والعفوِ والشفاعةِ والتخليدِ [هي] أهمُّ من مسائلِ الإمامةِ. ولهذا كلُّ مَنْ صَنَّفَ في أصولِ الدينِ يذكرُ مسائلَ الإمامةِ في الآخرِ، حتى الإماميةُ يذكرونَ مسائلَ التوحيدِ والعدلِ والنبوةِ قبلَ مسائلِ الإمامةِ، وكذلك المعتزلةُ يذكرونَ أصولهمُ الخمسَ: التوحيدَ، والعدلَ، والمنزلةَ بين المنزلتين، وإنفاذَ الوعيدِ، والخامسُ هو الأمرُ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، وبه تتعلَّقُ مسائلُ الإمامةِ. ولهذا كانَ جماهيرُ الأمةِ نالوا الخيرَ بدونَ مقصودِ الإمامةِ التي تقوُّها الرافضةُ، فإنهم يُقرِّون بأنَّ الأمامَ الذي هو صاحبُ الزَّمانِ مفقودٌ لا يُنتفعُ به أحدٌ، وأنه دخلَ السَّرْدابَ سنةَ ستينَ ومِئتينَ أو قريباً من ذلك، وهو الآنَ غائبٌ أكثرَ من أربعمئةٍ وخمسينَ سنةً، فهم في هذه المدَّةِ لم ينتفعوا بإمامتهِ لا في دينٍ ولا في دنيا، بل يقولون: إنَّ عندهم علماً منقولاً عن غيره. فإن كانت [الإمامةُ] أهمُّ مسائلِ الدينِ وهم لم ينتفعوا بالمقصودِ منها؛ فقد فاتهم مِنَ الدينِ أهمُّهُ وأشرفُهُ، وحينئذٍ فلا ينتفعون بِمَا حصلَ لهم مِنَ التوحيدِ والعدلِ؛ لأنه يكونُ ناقصاً بالنسبةِ إلى مقصودِ الإمامةِ، فيستحقُّونَ العذابَ، كيف وهم يُسلمونَ أنَّ مقصودَ الإمامةِ إنما هو في الفروعِ الشرعيَّةِ، وأما الأصولُ العقليَّةُ فلا يُحتاجُ فيها إلى =

= الإمام، وتلك هي أهمُّ وأشرفُ!.

ثم بعد هذا كُلُّه؛ فقولكم في الإمامة من أبعِد الأقوال عَنِ الصَّوابِ، ولو لم يكن فيه إلا أنكم أَوْجَبْتُمُ الإمامة لما فيها من مصلحة الخلق في دينهم ودنياهم، وإمامكم صاحبُ الوقتِ لم يَحْصُلْ لكم من جهته مصلحةٌ لا في الدين ولا في الدنيا، فأبى سَعِيٍّ أَضَلُّ من سَعِيٍّ مَنْ يَتَعَبُ التَّعَبَ الطَّوِيلَ، وَيُكْثِرُ القَالَ والقِيلَ، ويفارقُ جماعةَ المسلمين، ويلعنُ السَّابِقِينَ والتَّابِعِينَ، ويعاونُ الكفَّارَ والمنافقين، ويحتالُ بأنواعِ الحِيلِ، ويسلكُ ما أمكته مِنَ السُّبُلِ، ويعتضدُ بِشُهُودِ الزَّوْرِ ويُدلي أتباعَهُ بحبلِ الغُرُورِ، ويفعل ما يطولُ وصفهُ، ومقصودُهُ بذلك أن يكونَ له إمامٌ يَدُلُّهُ على أمرِ الله وَهَيْهَ وَيَعْرِفُهُ ما يقرَّبُهُ إلى الله تعالى. ثُمَّ إنه لما عَلِمَ اسمَ ذلك الإمامِ ونسبَهُ لم يظفرُ بشيءٍ مِنْ مَطْلُوبِهِ، ولا وصلَ إليه شيءٌ مِنْ تعليمِهِ وإرشادِهِ، ولا أمرُهُ ولا نهيهِ، ولا حصلَ له من جهته منفعةٌ ولا مصلحةٌ أصلاً، إلا إذهابُ نفسه وماله وقطعُ الأسفارِ وطولُ الانتظارِ بالليل والنهار، ومعاداةُ الجمهورِ لداخلٍ في سرادبٍ ليس له عملٌ ولا خطابٌ، ولو كان موجوداً بيقينٍ لما حصلَ به منفعةٌ لهؤلاءِ المساكينِ، فكيف وعقلاءُ الناسِ يعلمون أنه ليس معهم إلا الإفلاسُ، وأن الحسنَ بنَ عَلِيِّ العسكريِّ لم ينسلُ ولم يُعقَبْ، كما ذكر ذلك مُحَمَّدُ بنُ جريرِ الطَّبْرِيِّ وعبدُ الباقي بنُ قانعٍ وغيرُهُما من أهلِ العلمِ بالنَّسَبِ.

وهم يقولون إنه دخلَ السَّرْدَابَ بعدَ موتِ أبيه وعُمُرُهُ إمَّا سِتِّينَ وإمَّا ثَلَاثَ وإمَّا خَمْسَ وإمَّا نَحْوَ ذلك، ومثل هذا بنصِّ القرآنِ يَتِيمٌ يَجِبُ أَنْ يُحْفَظَ لَهُ مَالُهُ حَتَّى يُؤْتَسَرَ مِنْهُ الرُّشْدُ وَيُحْضَنَهُ مَنْ يَسْتَحِقُّ حِضَانَتَهُ مِنْ أَقْرَبائِهِ، فإذا صارَ له سَبْعُ سِنِينَ أُمِرَ بالطَّهَارَةِ والصَّلَاةِ، فَمَنْ لا تَوْضَأَ ولا صَلَّى وهو تَحْتَ حِجْرٍ وَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ بِنَصِّ القرآنِ لو كان موجوداً يشهدهُ العيانُ لما جازَ أن يكونَ هو إمامُ أهلِ الإيمانِ، فكيف إذا كان معدوماً أو مفقوداً مع طولِ هذه الغَيْبَةِ؟! والمرأةُ إذا غابَ عنها وَلِيُّهَا زَوَّجَهَا الحاكمُ أو الوليُّ الحاضرُ لثلاثِ نفوتِ مصلحةِ المرأةِ بَعْيِيَّةِ الوليِّ المعلومِ الموجودِ، فكيف تَضِيْعُ مصلحةُ الأُمَّةِ مع طولِ هذه المَدَّةِ مع هذا الإمامِ المفقودِ». انتهى كلامُ شيخِ الإسلامِ - رَحِمَهُ اللهُ - في إبطالِ هذا الحديثِ شرعاً وعقلاً.

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

• **النموذج الخامس:** من كتاب «الفترات والقراءات»، ويسمى «الجفر الأسود» وينسبونه لعلّي بن أبي طالب، ذكر فيه رواية عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ القرآنَ نزلَ على سبعةِ أحرفٍ لكلِّ آيةٍ منه ظهرٌ وبطنٌ»<sup>(١)</sup>.

(١) هذا حديثٌ ضعيفٌ: رُوِيَ مرفوعاً من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ، ومُرسلاً عن الحسن البصري عن النبي ﷺ. انظر ذلك في (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ٦/ ٥٥٩ رقم ٢٩٨٩) و(هداية الرواة: ١/ ١٦٠ الحاشية رقم ١) كلاهما للألباني.

ورواه ابن جرير الطبري في (تفسيره ١/ ٢٢ طبعة أحمد شاكر) قال: حدَّثنا محمد بن حميد الرازي، قال: حدَّثنا جرير بن عبد الحميد، عن مغيرة، عن واصل بن حيان، عن ذكره، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل حرف منها ظهر وبطن، ولكل حرف حدٌّ، ولكل حدٌّ مَطَّلَعٌ».

فعلّق عليه العلامة أحمد شاكر بقوله: «هو حديثٌ واحدٌ بإسنادين ضعيفين، أمّا أحدهما فلانقطاعه بجهالة راويه: (عن أبي الأحوص). وأمّا الآخرُ فمِنْ أَجْلِ (إبراهيم الهجري) راويه عن أبي الأحوص. و(مغيرة) في الإسناد الأول: هو ابنُ مِقْسَمِ الصَّبِيّ، وهو ثقةٌ. و(واصل بن حيان) هو الأحدثُ، وهو ثقةٌ. و(أبو الأحوص) هو الجشميُّ، واسمه عوف بن مالك بن نضلة تابعي ثقةٌ معروفٌ. و(مهران) في الإسناد الثاني هو ابنُ أبي عمَرَ العطارُ الرازيُّ وهو ثقةٌ، ولكن في روايته عن الثوري اضطرابٌ. وشيخه سفيان هنا هو الثوري الإمامٌ. و(إبراهيم الهجري) هو إبراهيم بن مسلم. والحديث بهذا اللفظ الذي هنا ذكره السيوطي في الجامع الصغير رقم ٢٧٢٧، ونسبه للطبراني في المعجم الكبير، ورمز له بعلامة الحُسن، ولا ندري إسناده عند الطبراني». اهـ.

قلتُ: قد ذكرَ هذا الحديث ابنُ عَرَبِيٍّ في كتابه (الفتوحات المكية: ٣/ ١٨٧) فقال: «قد أجمع أصحابنا أهل الكشف على صحّةِ خبرٍ عن النبي ﷺ أنه قال في آي القرآن إنّه: «مَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا وَلَهَا =



أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التبرؤية في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

وقال الفاطميون: «إن لكل ظاهرًا واجب الاعتقاد بالباطن والظاهر وكفروا من يعتقد بالظاهر دون الباطن، ومن عمل بالباطن دون الظاهر فليس منا، وما فاز عند الله إلا من عمل بالحالتين جميعًا ظاهرًا وباطنًا»<sup>(١)</sup>.

• **النموذج السادس:** من كتاب «دعائم الإسلام» للقاضي أبي حنيفة النعمان:

اتخذ الفاطميون هذا الكتاب مرجعًا في أحكامهم كما فعل الحاكم الفاطمي حينما أمر هارون بن محمد داعية اليمن بقوله: «ولتكن فتواك للمستفتين في الحلال والحرام من كتاب دعائم الإسلام دون سواه». وهذا ما بينه المؤيد في «مجالسه» بقوله: «وكان بناء المجالس التي تُعقد بحضوره في ليالي الجمعات مشروطة على أن يُتدعى بقراءة القرآن ويُتلى من كتاب دعائم الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

يقول القاضي أبو حنيفة النعمان<sup>(٣)</sup>: «جاء في الأثر: أن الله ملكًا في خلق ديك،

= ظاهرٌ، وباطنٌ، وحدٌ، ومطلعٌ. اهـ.

قلت: أما المقطع الأول من الحديث وهو: «إن القرآن نزل على سبعة أحرف»؛ فهو صحيح ثابت متفق عليه، أخرجه البخاري [برقم ٤٩٩١] ومسلم [برقم ٨١٩] عن ابن عباس بلفظ: «أقراني جبريل على حرف فلم أزل أستزيدُه حتى انتهي إلى سبعة أحرف».

(١) «السيرة المؤيدية»: ص ٦٧، كتاب «الفترات والقمرات» منسوب لعلي بن أبي طالب وجعفر الصادق، وهو المسمى بـ«الجفر الأسود».

(٢) «السيرة المؤيدية»: ص ٦٢.

(٣) «دعائم الإسلام»: ١/ ٣٩، رواه العاملي في «الوسائل»: ١٢/ ١٣٠.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

برائتهُ في تخومِ الأرضِ، وجناحاهِ في الهواءِ، وعنقهُ مثبتةٌ تحتَ العرشِ، فإذا مضى مِنْ الليلِ نصفهُ رفعَ عنقهُ فقال: سُبوحٌ قدوسٌ ربُّ الملائكةِ والروحِ، ربُّنا الرحمنُ لا إلهَ غيرُه، لِيَقْمَ المتهجِّدونَ»<sup>(١)</sup>.

• **النموذج السابع:** مِنْ كتابِ «أسرار النطقاء» لجعفرِ بنِ منصورٍ:

يُعَدُّ هذا الكتابُ مِنْ كُتُبِ المناظراتِ الإسماعيليَّةِ الكبيرةِ، حتى أنه اتُّخِذَ أساسًا في الرَّدِّ على مَنْ يُخالفهم، وذلك بقوله<sup>(٢)</sup>: «التذكيرُ على أَنَّ الوحيَ وَمَنْ تَبِعَهُ مِنَ الأئمَّةِ ودُرِّيَّتِهِمُ الذينَ اختصَّوا بتأويلِ القرآنِ، وذلك من خلالِ قوله [ﷺ] لعليٍّ: «سوفَ تقاتلُ على تأويله كما قاتلتُ على تنزيله»<sup>(٣)</sup>.

(١) أثرٌ ضعيفٌ منقطعٌ: فهو - كما قال أبو حنيفةَ النعمانُ الباطنيُّ - أثرٌ، وليس حديثًا نبويًّا، وقد رواه أبو الشيخِ الأصبهانيُّ في كتابه (العظمة: ٣/ ١٠١٠-١٠١١ رقم ٥٣٠)، قال: حدَّثنا جعفرُ بنُ أحمدَ: أخبرنا عبدُ الرحمنِ بنُ عمرَ: حدَّثنا يوسفُ بنُ مهرانَ: حدَّثنا (عبدُ الرحمنِ رجلٌ من أهلِ الكوفةِ) قال: «بلغني أَنَّ تحتَ العرشِ ملكًا...». قلتُ: فيه أكثرُ من عِلَّةٍ، الأولى: أَنَّ قائله رجلٌ مجهولٌ لم يُسمَّ، والثانية: أَنَّ الناقلَ عنه وهو (عبدُ الرحمنِ رجلٌ من أهلِ الكوفةِ) مجهولٌ أيضًا. وقد ذكره الإمامُ السيوطيُّ في (اللائي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة: ١/ ٦٢)، أي هو موضوعٌ مكذوبٌ عنده.

(٢) «السيرة المؤيدية»: ص ٧٥.

(٣) حديثٌ صحيحٌ: من روايةِ أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي اللهُ عنه، أخرجه أحمدُ في «مسنده» (٣/ ٨٢، رقم ١١٧٧٣)، والنسائيُّ (الخصائص ١٥٦)، وابنُ جبانَ في «صحيحه بترتيب ابن بلبان» (١٥/ ٣٨٥، رقم ٦٩٣٧)، والحاكمُ في «مستدركه» (٣/ ١٢٢-١٢٣)، وغيرهم. (انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٥/ ٦٣٩ رقم ٢٤٨٧). لكنَّ الحديثَ لا يدلُّ على ما ذهبَ إليه (الرافضةُ)، الذين يُجْرِفونَ =

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

ويقول جعفر بن منصور في تفسير قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَمُجُّونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾

﴿يُسَيِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾<sup>(١)</sup>: «فإن حملة العرش ومن حوله هم أولياء الله الظاهرون».

=معاني الأحاديث الثابتة لتتفق مع بدعهم وخرافاتهم، فالحديث بشارة من النبي ﷺ لعلي بقتال فرقة (الخوارج) الذين فسروا وتأولوا بعض آيات القرآن على غير وجهها، واستدلوا بذلك التأويل الباطل على كُفرِ علي رضي الله عنه وخرجوا عليه وقاتلوه بعد قصة التحكيم ونبذوا طاعته حيث كانوا في جيشه أول الأمر.

ولفظ الحديث هكذا: قال النبي ﷺ: «إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله.

فاستشرنا وفيما أبو بكر وعمر، فقال ﷺ: لا، ولكنه خاصف النعل» يعني علياً».

فليس في الحديث ما يؤيد الروافض فيما يذهبون إليه من عصمة علي، ووجوب تنصيبه إماماً قبل أبي بكر وعمر، إنما هو - كما أسلفنا - علامة ودليل من دلائل صدق نبوة النبي ﷺ، حيث أخبر ﷺ بوقوع هذه الفتنة (فتنة الخوارج) في زمن علي، وليس في زمن أبي بكر أو عمر، وقد وقع ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ.

ونلاحظ أن هذا الرافضي الباطني (جعفر بن منصور) حرّف معنى الحديث؛ فاستدل به على اختصاص علي وذريته بمعرفة وتأويل القرآن دون غيرهم من الصحابة المشهود لهم بمعرفة تأويل القرآن والحكمة كابن عباس وغيره من عامة المسلمين في كل زمان ومكان، إذ القرآن صالح لكل جيل من أجيال المسلمين، ويعالج ما يستجد في حياتهم من مسائل ونوازل لم تقع من قبل، كما أن الواقع الماضي والحاضر وما ظهر من معاني وحقائق القرآن الكريم في هذا العصر - في كافة المجالات التي أكدها العلم الحديث والحضارات الإنسانية المتعاقبة - فإن ذلك يكذب هذا التخصيص، ولا ريب أن هذا التحريف لا ولن ينطلي إلا على السذج الرعاع الذين يتبعون كل ساقطة ولاقطة.

(١) سورة غافر، الآية ٧.

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

ويقول عن الجنة التي أسكنها الله آدم:

«هي دعوة إمام العصر، وأن الحارث بن مرة أي إبليس قد خدم فيها، وكان إبليس هو الشجرة»<sup>(١)</sup>.

\* **النموذج الثامن:** من كتاب «رسائل إخوان الصفا»، ونجد فيه ما يلي:

«أورد العلامة أبو المعالي حاتم بن عمران بن زهرة السرميني الحلبي المتوفى عام (٤٧٠هـ) في رسالته المرسومة «الأصول والأحكام» قال: انتقل محمد بن إسماعيل إلى دار البقاء، ثم تسلّمها ولده المستور «أحمد» وهو أول من ستر نفسه عند الأضرار من أهل عصره المخالفين له، لأن زمانه كان زمان فتنة ومحنة، وكان المتغلبون من ولد بني العباس يطلبون من يرشدهم إليهم حسداً وبغضاً لأولياء الله تعالى، فأوجب ذلك الاستتار المعروف للأئمة وكفى الدعاة بأسائهم تقيّة عليهم مما هم فيه».

وتابعه أولوا الضلال حتى قالوا: «إن الإمام من ولد محمد بن إسماعيل وهو «عبدالله ميمون القداح» المعروف بقداح الحكمة وزيد الهداية، وزعم البعض أنه «عبدالله بن سعيد، وعبدالله بن مبارك، وابن حمدان، وأن هؤلاء الأربعة مع غيرهم قد صنّفوا رسائل طويلة في شتى العلوم والفنون عددها «اثنان وخمسون رسالة جامعة، وهي التي تتضمن الأسرار والرموز لجميع محتويات هذه الرسائل، فصارت حسب عدد حروف الإمام أحمد».

(١) «السيرة المؤيدية»: ص ١٣.

وقال السيد غلام أحمد القادياني<sup>(١)</sup> في رسالة «العسل المصفي في تحقيق اسم

(١) هو: غلام أحمد القادياني، ولد عام ١٨٣٥ م وقيل ١٨٣٩ م وقيل عام ١٨٤٠ م، في قرية قاديان إحدى مقاطعات البنجاب بالهند في أسرة مجهولة الأصل والنسب تدين بالولاء للاحتلال الإنكليزي ضد المسلمين. وفي هذا يقول غلام أحمد نفسه: «اسمي أحمد واسم أبي غلام مرتضى، واسم أبيه عطا محمد وقومي مغول برلاس، ويظهر من الأوراق المحفوظة أن آبائي جاؤوا من سمرقند». ثم يزعم أن الله تعالى كلمه بأن أسرته فارسية، يقول في ذلك: «والظاهر أن أسرتي من المغول... لكن الآن ظهر لي من كلام الله أن أسرتي حقيقة أسرة فارسية، وأنا أو من بهذا، لأنه لا يعرف أحد حقائق الأسر مثل ما يعرفها الله».

ومرة يعلن أنه صيني الأصل يقول: «محيي الدين بن عربي تنبأ عني في كتابه (فصوص الحكم)، حيث يقول: يولد في آخر الزمان ولد يدعو إلى الله، يكون مولده بالصين، ولغته لغة بلده، فأنا هو المقصود؛ لأنني صيني الأصل». ومرة أخرى يعلن أنه من آل البيت، وأسرته إسرائيلية الأصل. حيث يقول: «أنا فاطمي من بني فاطمة بنت الرسول رضي الله عنها، وأسرتي من أولاد إسحاق». وإذا سئل عن هذه التقلبات في أصله؛ قال: «لا دليل عندي سوى إلهام الله في ذلك».

فمتنبىء القاديانية لا يعرف أصله بل إن إله القادياني (شيطانه) لا يعرف أصله، هذا هو نسب أسرة متنبىء القاديانية المجهول.

وأما رب هذه الأسرة فقد اشتهر بالولاء الشديد للحكومة البريطانية وبمعاونتهم بكل ما يستطيع ضد المسلمين. فيحدثنا متنبىء القاديانية عن أبيه قائلاً: «إن والدي كان من الذين شرفهم حاكم المقاطعة بتخصيص مقعد لهم في قصره خلال المناسبات الرسمية، وكان والدي من الموالين المخلصين للحكومة الإنكليزية، وقد أمد الحكومة السامية خلال الثورة الكبرى التي قامت عام ١٨٥٧ م بخمسين فرساً اشتراها من خالص ماله وبخمسين فارساً، وكان هذا العون أكثر من طاقته، ولكن بعد ذلك بدأ الزوال والانحطاط لأسرتي حتى بقيت أسرتي كأسرة مزارع فقير». في وسط هذه =

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

مصنّف رسائلِ إخوان الصِّفا» ما يلي:

«ولما خشي السيدُ ابنُ عبد الله أن يزيغَ المسلمونَ عَنِ الشريعةِ المُحمّديةِ إلى علومِ الفلسفةِ أَلَفَ «رسائلِ إخوان الصِّفا وِخلانِ الوفاء»، وجمعَ فيها مِنَ العلومِ والحكمةِ والمعارفِ الإلهيَّةِ والفلسفةِ والشريعةِ».

وجاءَ في كتابِ «قلائدِ الجواهر» المُصنَّفِ بالفارسيَّةِ في الصفحةِ (٢٧) ما يلي:

«إِنَّ العلامَةَ «أحمدَ بنَ عبد الله» هو مُصنِّفُ اثنتينِ وخمسينِ رسالةً موسومةً بإخوان الصِّفا، وقالَ الفقيهُ الكبيرُ قاضي القضاةِ المُعزِّ الدينُ النعمانُ بنُ حَيَوْنَ المعزِّيُّ التميميُّ في رسالتهِ «المذْهَبِ» (ص ٢٧) ما يلي: «وَأَنَّ الأئمةَ المُستورينَ هم: عبد الله، وأحمد، وحسين، والدعاةُ الأربعةُ مؤلفو رسائلِ إخوان الصِّفا». وقالَ ابنُ القفطيِّ في كتابه «تاريخِ الحكماء»: «لَمَّا كَتَمَ مُصنِّفوها أي «رسائلِ إخوان الصِّفا» أسماءَهم اختلفَ الناسُ في الذي وضعها، فكانَ قومٌ بطريقِ الحدسِ والتخمينِ، وقومٌ قالوا: هي من كلامِ ما بعدَ

= الأسرة العميلة لبريطانيا نشأ غلام أحمد القادياني عميلاً للإنكليز، حيث يصرح بهذه العمالة قائلاً: «ولقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الإنكليزية ونصرتها، وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر الإنكليز». ويقول في موضع آخر: «وقد ألفت من الكتب والإعلانات والنشرات... وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية وتركيا، وكان هدفي دائماً أن يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة». ويقول أيضاً: «لقد ظللت منذ حادثة سني وقد ناهزت اليوم الستين أجاهد بلساني وقلمي لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنكليزية والنصح لها والعطف عليها... وأرى أن كتاباتي قد أثرت في قلوب المسلمين، وأحدثت تحولاً في مئات الآلاف منهم».

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

الأئمة من نسل علي بن أبي طالب<sup>(١)</sup>، وقال الفقيه الكبير شرف الدين جعفر بن محمد ابن حمزة، (المتوفى ٨٣٤هـ) في رسالته الموسومة «المقنعة» حتى همّ المتسمي بالمؤمن قال: **إِنَّ مَرَدَّ الْأُمَّةِ إِلَى دِينِ الْقَوْمِ بِالنَّجْوَمِ، وَقَالَ: مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ وَمُوسَى مَلِكٌ بِهِ النَّاسَ، حَتَّى ظَهَرَ وَلِيُّ اللَّهِ وَابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «إِخْوَانِ الصِّفَا»، وَفِيهَا مَا تَحِيرُ بِهِ جَمِيعَ الْعَالَمِ مِنَ الْعِلْمِ فِي كُلِّ مَنَةٍ، وَالِاسْتِشْهَادُ عَلَى شَرِيعَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَهُوَ فِي كَهْفِ الثَّقَةِ مُسْتَتِرٌ، وَدَعَاةُ الْبَاقُونَ لِتِلْكَ الرِّسَالِ فِي كُلِّ شَهْرٍ وَقَطْرٍ.**

نماذج من مناهج إخوان الصفا: «واعلم يا أخي أن لكل شيء من الموجودات في العالم ظاهراً وباطناً، فظواهر العلوم قشورٌ وعظامٌ، وبواطنها لبٌّ ومخٌّ، وأن أمور الدين كلها من الباطن لا يدرُّه إلا من خصوا بعلم الباطن»<sup>(٢)</sup>.

• **النموذج التاسع:** من كتاب «أساس التأويل» للقاضي أبي حنيفة النعمان بن حيون، وفيه عقيدة الإسماعيلية وتفسير لبعض سور القرآن.

يقول في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾<sup>(٣)</sup> يقول: «إن استطعت على مدافعتكم وإلا لجأت إلى الناطق يعني إبراهيم»<sup>(٤)</sup>.

(١) «عيون الأخبار»: ص ٢٢٩، لداعي الدعاة المطلق عماد الدين القرشي.

(٢) «جزء إخوان الصفا»: ٧٨ / ١.

(٣) سورة هود، الآية ٨٠.

(٤) المرجع السابق: ص ١٢٣.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

---

وأكتفي بهذا القدرِ من هذه النماذجِ الشَّيعيَّةِ الرَّافضيَّةِ الفاطميَّةِ الباطنيَّةِ التي اتَّسمتْ بمخالفةِ الأصولِ التَّربويَّةِ لأُصولِ دينِ الإسلامِ ومنهجِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، وفيما يأتي أذكرُ أبرزَ ما امتازتْ به هذه النماذجُ.

\*\*\*



## أهمُّ ما امتازت به المناهجُ عندَ الفاطميينَ

امتازتِ مناهجُ الفاطميينَ بتوجيهِ النَّاسِ نحوَ العقيدةِ الإسماعيليَّةِ الشَّيعيَّةِ وإبرازها، وعمِلتْ على الاستقلالِ والمخالفةِ لأصولِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، ويظهرُ ذلك جليًّا من خلالِ المخالفاتِ التاليةِ:

- **أولاً:** اعتبروا أنَّ أسرارَ الدينِ متوقفةٌ على تعليمِ الأئمَّةِ من نسلِ فاطمةِ الزَّهراءِ، وهُمُ الكواكبُ والنجومُ والمصابيحُ، حيثُ يُرسلُ نورُ المعرفةِ إلى قلوبِ أتباعهم، لما يروونه عن النَّبيِّ ﷺ: «إني تاركُ فيكم الثقلين كتابِ الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدًا، وأنها لن يفترقا حتى يردوا عليَّ الحوض»<sup>(١)</sup>. ويقولون: إنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «تعلَّموا من عالمِ أهلِ بيَّتي؛ تنجوا من النَّار»<sup>(٢)</sup>.

- **ثانيًا:** الفاطميونَ يبطلونُ القياسَ والرَّأيَ، بل أنكروا الإجماعَ والقياسَ، وطعنوا في فتاوى بعضِ الصَّحابةِ وجميعِ أهلِ الحديثِ والرَّأيِ<sup>(٣)</sup>.

وقالوا: «إنَّ الفقهاءَ من أهلِ المذاهبِ الأولى حرَّفوا القرآنَ الكريمَ»، وهُمُ الذين

(١) تقدم تخريجُ هذا الحديثِ مع بيانِ شرحه ومعناه الصحيح، في (ص ٩٠).

(٢) «المجالس المؤيدية»: ١/١٤٧، «السيرة المؤيدية»: ص ٢٤. وقد تقدم تخريجُ هذا الحديثِ مع بيانِ شرحه ومعناه الصحيح، في (ص ٩٤).

(٣) «الفرق بين الفرق»: ص ١١٤.

أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

عناهم الله تعالى بقوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾<sup>(١)</sup>، ولكن تحريفهم هنا للقرآن لم يكن من جهة اللفظ؛ لأن ألفاظ القرآن الظاهرة محفوظة على ما كانت عليه، وإنما دخل التحريف عليها من جهة معانيها التي هي الغرض<sup>(٢)</sup>.

ويضيف المؤيد قائلاً: «إن أهل الرأي والقياس قد قالوا القول بالعداة ورجعوا عنه بالعشي، وأنهم رجعوا في آخر أعمارهم عن سائر ما قالوه في أولها، فالعقل يُوجب إنهم لو عاشوا زيادة على ما عاشوا لرجعوا عن كثير مما كانوا عليه قبل أن يموتوا»<sup>(٣)</sup>.

- **ثالثاً:** قال الفاطميون إن للشرعية ظاهراً وباطناً، وأوجبوا الاعتقاد بالظاهر والباطن، وكفروا من يعتقد بالظاهر دون الباطن، فمن عمل بالظاهر والباطن فهو منهم، ومن عمل بالظاهر دون الباطن فليس منهم، وما فاز عند الله إلا من عمل بالحالتين جميعاً ظاهراً وباطناً<sup>(٤)</sup>.

وقد زعموا أن جعفر الصادق سُئل عن الحاجة إلى اتخاذ الباطن في الحُجُبِ والعدول عن طريق الإيضاح والإظهار؟ فأجاب: «هي الحاجة إلى اتخاذ الحُبِّ في أغطية السنابل والثمار في الأغشية ليستخلصها ذوو البصائر والأبصار، فبين الله سبحانه

(١) سورة النساء، الآية ٤٦.

(٢) «المجالس المؤيدية»: ١٧/١.

(٣) المرجع السابق: ٨٠/١.

(٤) «الفترات والقرانات»: ص ٦٧.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصْرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

فضلَ المجتهدينَ على المُقَصِّرِينَ والمجاهدينَ على القاعدينَ»<sup>(١)</sup>.

- **رابعاً:** الفاطميون يقولون بنظرية (المثل والمثول)، وهذه عقيدتهم في التأويل وفي جميع مناسك الدين، بل كانت مجالسهم مبنية على أساس المقابلة بين الشرع والعقل، وإخراج الأمثلة من الدين على الخلق ومن الخلق على الدين<sup>(٢)</sup>، ويقولون: إنَّ الله تعالى أجرى نظام الحكمة على أن يكون جميع ما خلق من خلقه محسوساً ومعقولاً ومثلاً ومثولاً<sup>(٣)</sup>.

- **خامساً:** يذهبون إلى العمل باجتهد فقهِ خاصِّ بهم، حيثُ يُقرَّرُ المذهبُ الفاطميُّ أنَّ عددَ شهرِ رمضانَ ثلاثون يوماً وأنه لا ينقصُ في جميع السنين، ولهم تقويمٌ قمرِّيٌّ ثابتٌ يُطلقون عليه اسمَ (التقويم المِصريِّ)؛ لأنه تقرَّرَ في مِصْرَ في عهدِ الخلافةِ الفاطميَّةِ وعمِلَ به في مِصْرَ<sup>(٤)</sup>.

- **سادساً:** مخالفتهم لكثير من عقائد المسلمين، فقد قالوا: «إنَّ الله لا يُرى بالأبصار، وأنه لا يُرى بالعقول»<sup>(٥)</sup>.

(١) «السير المؤيدية»: ص ٨٧.

(٢) «المجالس المؤيدية»: ١٣١ / ٢.

(٣) المرجع السابق: ١ / ١٣٣، «نظرية المثل والمثول» - لأبي الفضل طيفور - ص ٨٥.

(٤) «الرسالة اللازمة في شهر رمضان المعظم وحينه»، لأحمد حميد الكرفاني داعي دعاة الخليفة الحاكم

بأمر الله الفاطمي ص ٦٧، «المجالس المؤيدية»: ٤٢ / ١.

(٥) «المجالس المؤيدية»: ٤٧ / ١، «رسائل إخوان الصفا»: ١٥٨ / ٤.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

---

- **سابعاً:** فسروا «القرآن» تفسيراً خاصاً بهم، فقالوا: إنَّ للقرآنِ تفسيراً ظاهرياً  
وآخرَ باطنيّاً<sup>(١)</sup>.

وهناك الكثيرُ مِنَ المخالفاتِ التي خالفَ بها الفاطميُّونَ أصولَ الشريعةِ، لا  
يتسعُ المقامُ لذكرِها.

\*\*\*

---

(١) «المجالس المؤيدية»: ١/١٥-١٦.

## المبحث الثاني

### أساليب صلاح الدين في تغيير المناهج السابقة

#### المدخل

أدرك صلاح الدين عندما تولّى السُلطة أنّ عليه واجباً كبيراً، وأنّ مسائل عديدة تقف أمامه بحاجة إلى حلٍّ جذريٍّ، فالمناهج التربويّة الشيعيّة نخرت جسم المجتمع مع انتشار زعماء ودعاة وعلما الشيعية ومحاولتهم للوصول إلى السُلطة وتوليّ زمام الأمور. بيّد أنّ صلاح الدين ركّز على استغلال التعليم من خلال توجيه القُدرات عامّة، والقيام بعملية التغيير الشاملة؛ لإكسابهم إطاراً ثقافياً جديداً، وإطاراً حضارياً أصيلاً، وربطهم بالمؤسّسات التربويّة، وخلق روح التغيير الاجتماعيّ وفق التعاليم والمفاهيم والاتجاهات التي حددها تصوّر الإسلاميّ، والسعيّ نحو ترجمة هذه المفاهيم إلى أهداف تعليميّة قابلة للتطبيق؛ لتحقيق التغيير الشامل في واقع الحياة المصريّة. لذا عقدتُ هذا المبحث لبيان أساليب صلاح الدين في تغيير هذه المناهج.

\*\*\*

## أهدافُ التَّغييرِ

قبلَ البَحْثِ في الأساليبِ لا بُدَّ من بيانِ الأهدافِ التي يَرجوها صلاحُ الدِّينِ من وراء ذلك، وأجملها بما يلي:

- ١ - إيجادُ الإنسانِ المؤمنِ برَبِّهِ من خلالِ الشريعةِ الإسلاميَّةِ.
  - ٢ - القضاءُ على كافةِ أنواعِ الفسادِ السياسيِّ والاجتماعيِّ والفكريِّ.
  - ٣ - إعادةُ بناءِ الجماعةِ وفقِ النظامِ الإسلاميِّ.
  - ٤ - تربيةُ الأُمَّةِ جهاديًّا، وإعدادُ العُدَّةِ لذلك.
  - ٥ - نشرُ الأخلاقِ الحميدةِ بين الأُمَّةِ.
  - ٦ - رفعُ الجهلِ.
  - ٧ - نشرُ المعرفةِ والثقافةِ السُّنَّيةِ بشتَّى الوسائلِ<sup>(١)</sup>.
- وقد عمِلَ صلاحُ الدِّينِ جاهدًا لتحقيقِ هذه الأهدافِ الإصلاحيةِ النبيلةِ، مُحدثًا التغييرَ الذي أرادَ، مما يمليه عليه دينُه وعقيدتُه.

\*\*\*

---

(١) انظر: «الكامل في التاريخ»: ٣٢٠/١١، «النوادر السلطانية»: ص ٢١، «مفرج الكروب»: ١٩٨/١، «حسن المحاضرة»: ١٠٠/٣، «سياسة صلاح الدين العسكرية» ص ٤٥، «النجوم الزاهرة»: ١١٤/٦، «الرحلة»: ص ١٣٢، «البداية والنهاية»: ١٣٧/١٣، «الخطط المقرئية الموعظ والاعتبار»: ١٢٦/١ - ٤١٥/٢.

## أساليب وخطط التغيير

— أولاً: قطع الخطبة للخليفة الفاطمي:

قام صلاح الدين سنة (٥٦٦هـ) وفي أول جمعة بإقامة الخطبة للخليفة السني المستضيء بنور الله العباسي بمصر، وذلك بمسجد (ابن طولون)، والذي قام بالخطبة بأمر صلاح الدين الوزير أبو الضياء خطيب الديار المصرية. واستهدف من وراء ذلك إلغاء وتجميد دور الأزهر كجامع ومؤسسة تربوية بدعية، وذلك بنقل الخطبة منه وجعلها بمسجد (ابن طولون)، وفي ذلك إشارة منه لإغلاق المؤسسات التربوية الشيعية البارزة، وتخطيم وتشتيت تجمعهم بكافة الصور، إضافة إلى التوجه بالخطبة والدعاء للخليفة السني، وفي ذلك عودة للأصول؛ حيث فيه طاعة للإمام الشرعي لقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>. فيكون بعمله هذا قد أحدث تغييراً في واقع المؤسسة التربوية المتمثلة بالأزهر، وتغييراً في المنهج من خلال الخطبة التي تعتبر من وسائل نشر العلوم وتثقيف الناس وتعليمهم<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٢) «البداية والنهاية»: ١٢ / ٢٨١-٣١٧، «الخطط المقرية المواعظ والاعتبار»: ٢ / ٢٧٥.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

### – ثانياً: عَزَلُ قُضاةِ الشَّيعَةِ وتعليقُ القضاءِ بالمراجعِ الشَّيعيَّةِ:

قامَ صلاحُ الدينِ بعزلِ وسجنِ قُضاةِ الشَّيعَةِ، وقتلِ بعضهم من أثاروا الفتنَ كما سيأتي، وفي المقابلِ قامَ بتفويضِ القضاءِ لصدرِ الدينِ عبدِ الملكِ بنِ درباسِ الماردانيِّ الشافعيِّ وتنصيبه رئيساً للقضاةِ، الذي قامَ بدوره بتعيينِ كافَّةِ القضاةِ مِنَ المذهبِ السُّنِّيِّ.

والبعدُ التربويُّ في ذلك أنَّ القضاةَ هم أركانُ الدَّولةِ، وأصحابُ تصريفِ شؤونِ العبادِ، وهُمُ المرجعُ للناسِ، وهُمُ المدرسون وأصحابُ الفتيا، لذا كانَ عملُ صلاحِ الدينِ مواكباً لعمليةِ تغييرِ المناهجِ، حيثُ أيقنَ أنَّ القضاةَ مرتكزُ القوَّةِ للعمليةِ التَّربويَّةِ وديمومتها من خلالِ الرجوعِ للمناهجِ وتدريبها.

بهذا أبطلَ صلاحُ الدينِ حركةَ مؤلفي المناهجِ والمدرسينَ لها الممثلين بالقضاءِ في ذلك العصرِ، الذين يمثلون عصبَ المناهجِ الشَّيعيَّةِ، ومما يدلُّنا على عمقِ ربطِ دورِ القضاةِ في المناهجِ مقالةُ صلاحِ الدينِ نفسه بقوله: «وأما القضاةُ الذين هم للشريعةِ أوتادٌ ولإمضاءِ أحكامها أجنادٌ وحفظِ علومها كنوزٌ لا يتطرقُ إليها النفاذُ»<sup>(١)</sup>.

### – ثالثاً: إغلاقُ المؤسساتِ التَّربويَّةِ الشَّيعيَّةِ الفاطميَّةِ:

اهتمَّ الفاطميُّونَ بدورِ العلمِ لنشرِ مذهبهم؛ فاتخذوا مِنَ (الأزهرِ) مسجداً وجامعةً، عيَّنوا فيه المدرسينَ والطلَّابَ، وطبَّقوا النظامَ الداخليَّ تطبيقاً شاملاً، وكان

(١) «صبح الأعشى»: ١٣/١٤٤-١٤٨، «الخطط المقرئية المواظ والاعتبار»: ٢/٢٥٥-٢٥٨.



أثر جهود صلاح الدين الأيوبي التربوي في الحفاظ على عقيدة أهل السنة في مصر والقضاء على الدولة الفاطمية

الأزهر يقوم بدور تربوي كبير، حيث كان مأوى للغرباء ومجمعاً لتدريس الدعوة الفاطمية. لكن صلاح الدين قام بإغلاقه خوفاً تعلق الناس به، وبقائه رمزاً للدعوة الفاطمية، وهذا يكون قد نزع توجه الناس إليه، واستبدله فوراً بالبدائل التربوية المناسبة كما فعل في (مسجد ابن طولون) الذي جعل فيه الخطابة والتدريس، وجعل به مكاناً للسكن كما وصفه ابن جبير بقوله: «وألحق بالمسجد النظام الداخلي، حيث كان مأوى الغرباء كما في (جامع ابن طولون) الذي كان يسكنه المغاربة ويدرسون فيه، وأجرى عليهم الأرزاق في كل شيء»<sup>(١)</sup>.

فيكون بعمله هذا قد هدم أبرز معاقل الشيعة التربوية المتمثل بالأزهر، الذي استعمل في واقع الحال كجامعة حقيقية، بلغ نزلاؤه (٧٥٠) طالباً، وكان من أبرز المدرسين في هذا الصرح القاضي أبو حنيفة النعمان بن حيون، ويعقوب بن كلّس، والمؤيد لدين الله الشيرازي وغيرهم. ولم يكن يُدرّس به إلا المناهج الشيعية مثل كتاب «المجالس المؤيدة»، و«الاختصار في الفقه» و«المختصر» ليعقوب بن كلّس<sup>(٢)</sup>.

#### — رابعاً: حرق المناهج الشيعية وإغلاق المكتبات وهدمها:

اعتنى الفاطميون بنشر مذهبهم عبر مؤسساتهم العلمية فألحقوا بهذه المؤسسات المكتبات الضخمة الكبيرة، وكانت تحتوي على آلاف الكتب العلمية، بيد أن هذه

(١) «الرحلة»: ص ٢٧.

(٢) «الخطط القرظية المواعظ والاعتبار»: ٢/ ٢٧٢-٣٦٢، «صبح الأعشى»: ٣/ ٣٦٧.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

الكتبَ كانت تشكُلُ عالمًا كبيرًا للمعرفةِ ضمنَ أصولِ ومناهجِ المذهبِ الشِّيْعِيِّ الفاطميِّ، فاتخذَ صلاحُ الدِّينِ هذا الإجراءَ للحدِّ من هذا الخطرِ، كما وصفه ابنُ خلدونٍ بقوله: «وأحرقَ ما أحرقَ من كُتُبِها، وأبقى ما أبقى، وبنى مكانها مدرسةً شرعيَّةً على المذهبِ الشَّافعيِّ، وقام كذلك بحرقِ مكتبةِ القصرِ الفاطميِّ، مُهديًا منها وبائعًا الذي ينتفعُ منها»<sup>(١)</sup>.

وبهذا يكونُ صلاحُ الدِّينِ قد قضى على مصادرِ المناهجِ الشِّيْعِيَّةِ، وحدَّ من فرصِ بقائها وانتشارها.

#### — خامسًا: قتلُ دعاةِ المذهبِ الفاطميِّ إخمادًا للفتنِ:

إنَّ حملةَ الفكرِ الفاطميِّ ومروجِ المناهجِ، وهم وأركانُ الدَّولةِ وعضدُها، ما يأسوا من نشرِ مذهبهم والحفاظِ عليه بكافةِ السُّبُلِ، لذا أخذوا يُدبِّرونَ الفتنَ لصلاحِ الدينِ مراتٍ عديدةً، وحاولوا اغتياله، فقامَ بإقامةِ الحُدودِ والعقوباتِ الشرعيَّةِ عليهم، فسجنَ وقتلَ مَنْ استحقَّ ذلكَ منهم، كونهم خوارجَ وبغاةً، ومفسدينَ في الأرضِ، ودعاةً فتنَّةٍ. ومنَ الذين استحقوا عقوبةَ القتلِ: عمارةُ اليمينيِّ، وعبدالصمدِ الكاتبُ، وقاضي القضاةِ، وداعي الدُّعاةِ<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) «العبر»: ٧٩/٤.

(٢) «الروضتين»: ٢٠١/١ - ٢٦٨، «الخطط المقرية المواقظ والاعتبار»: ٢٧٦/٢ - ٣٤٣/٢.

### المبحث الثالث

#### المضامينُ التَّربويَّةُ في توجِّهاتِ صلاحِ الدِّينِ

هذا المبحثُ يتناولُ نماذجَ مختارةً من عهدِ صلاحِ الدِّينِ تتعلَّقُ بالمواقفِ ذاتِ المضامينِ التَّربويَّةِ المهمَّةِ، وهي مُستمدةٌ من واقعِ عهدهِ ومن رسائلهِ ومراسيمه، وبها تظهرُ الاتجاهاتُ التَّربويَّةُ كمسارٍ تربويٍّ واضحٍ لهذهِ المرحلةِ من حياته.

#### – أولاً: التدينُ بطاعةِ أُولي الأمرِ:

حيثُ يقولُ الإمامُ صلاحُ الدِّينِ: «ونحنُ لا نتديَّنُ إلا بطاعةِ الإمامِ، ولا نرى ذلكُ إلا من أركانِ الإسلامِ»، ويقولُ: «وقد عرفَ ما فضلنا اللهُ تعالى به عليهم في نصرِ الدَّولةِ وقطعِ مَنْ كان يَنازعُ الخِلافةَ رداًها»<sup>(١)</sup>.

– ثانياً: تصفيةُ المؤسَّساتِ التَّربويَّةِ، ومُحاربةُ الاتجاهاتِ السَّليبيَّةِ التي يروِّجها المفسدونُ الشَّيعيَّةُ:

فيقولُ - رَحِمَهُ اللهُ - حوَلَ تطهيرِ المنابرِ مِنَ المفسدينِ الشَّيعيَّةِ: «وتطهيرِ المنابرِ مِنَ رجسِ الأديعَاءِ»، ويركزُ على الإخلاصِ أساساً تربويّاً بقوله: «ولم نفعَلْ ما فعلنا لأجلِ الدُّنيا، فلا معنَى للاعتدادِ بِها الجزاءِ عنه بالحسنى فتوقع في العقبي، غيرَ أنَّ التحدثَ بنعمِ اللهِ واجباً»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) «مضمار الحقائق»: ص ٦٢-٦٥، وهي إحدى رسائل صلاحِ الدِّينِ إلى أستاذ دار الخِلافةِ مجدِّ الدينِ.

(٢) المرجع السابق: ص ٦٢-٦٥.

### – ثالثاً: الحثُّ على الاعتصامِ بالكتابِ والسُّنَّةِ:

حيثُ يقولُ - رَحِمَهُ اللهُ - في رسالةٍ إلى أخيه العادلِ الذي كان نائباً عنه في مِصرَ، وقد حصلَ بعضُ الشغبِ من بعضِ الأفرادِ: «انتهى إلينا بالديارِ المِصريَّةِ والحضرةِ العليَّةِ أن جماعةً من الفقهاءِ قد اعتضدوا بجماعةٍ من أربابِ السُّيوفِ، وبسطوا ألسنتهم بالمنكرِ من القولِ غيرِ المعروفِ، وأنشأوا من العصبيةِ ما أطاعوا فيه القويِّ البغيضةَ وأحيوا بها ما أماته اللهُ من أصلِ حميةِ الجاهليَّةِ، واللهُ سبحانه يقولُ - وكفى بقوله حُجَّةً على مَنْ كان سميحاً مطيعاً -: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾<sup>(١)</sup>، ولم يزلِ التَّعصُّبُ للمذاهبِ يملأُ القلوبَ بالشحناءِ ويشحنها، وقد نهي اللهُ عنِ المجادلةِ لأهلِ الخلافِ، فيكف بأهلِ الوفاقِ، إلا أن يقالَ أحسنها، وما علمنا أن في ذلك نيةً تنجدُ ولا مصلحةً توجدُ، وليس يسعُ الخلفَ ما وسعَ السلفَ من الأدبِ، وليعلمِ العبدُ أنه يكتبُ كتاباً إلى ربِّه فليفكرُ فيما كتبَ وإلى مَنْ كتبَ»<sup>(٢)</sup>.

### – رابعاً: الحثُّ على فضيلةِ العدلِ والإحسانِ للرعيَّةِ:

وكان يحرصُ - رَحِمَهُ اللهُ - على توجيهِ وُلاتِهِ بقوله: «فليعدلُ في الرعيَّةِ الذين همُ عنده ودائعُ، وليجاوزُ بهم درجةَ العدلِ إلى إحسانِ الصنائعِ، فإذا أسندَ هذا الأمرَ إلى وُلاتِهِ فليكونوا تقاةً، لا يجدُ الهوى عليهم سبيلاً، ولا يجدُ الشيطانُ عندهم مقيلاً، وإذا

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٢) «الروضتين»: ١٧٨/٢.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

حملوا ثقلًا لا يجدون حملَهُ ثَقِيلًا»<sup>(١)</sup>.

#### — خامسًا: الحرصُ على تطبيقِ مبادئِ الشريعةِ:

حيثُ يقولُ - رَحِمَهُ اللهُ -: «وقد فشا في هذا الزمنِ أخذُ الرِّشوةِ، وهي مَحْقُ أمرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِنَبْذِهِ، ونهى عن أخْذِهِ وَعَنِ الرِّغْبَةِ فِي تَدَاوُلِهِ، وهو كَأَخْذِ الرِّبَا الَّذِي قُرِنَتْ اللَّعْنَةُ بِمُؤْكَلِهِ وَآكَلِهِ»<sup>(٢)</sup>.

#### — سادسًا: الاهتمامُ بأمرِ القضاءِ:

حيثُ يقولُ - رَحِمَهُ اللهُ -: «وأما القضاءُ الَّذينَ هم للشريعةِ أوتادٌ، ولإمضاءِ أحكامِها أجنادٌ، ولحفظِ علومِها كنوزٌ لا يتطرقُ إليها النفاذُ، فينبغي أن يعولَ فيهم على الواحدِ دونَ الإثنينِ، وأن يستعانَ بهم في الفصلِ بذي الأيدي، وفي اليقظةِ بذي اليدين، وأمرُ الحكامِ لا يتولاهُ مَنْ سألَهُ، وإنما يتولاهُ مَنْ غفلَ عنه وأغفلَهُ»<sup>(٣)</sup>.

#### — سابعًا: الاهتمامُ بأمرِ الجهادِ والحثُّ عليه:

حيثُ يقولُ - رَحِمَهُ اللهُ - في موطنٍ يَحْتُ الأُمَّةَ على الجهادِ: «إِنَّ اللهَ لما مَكَّنَ لنا في الأرضِ ووفَّقنا في إعزازِ الحقِّ وإظهارِهِ لأداءِ الفرضِ؛ رأينا أنْ نقدمَ فرضَ الجهادِ في سبيلِ اللهِ، فنوضحُ سبيلَهُ ونُقْبِلُ على إعلاءِ الدينِ وننصرُ قبيلَهُ، وندعو أولياءَ اللهِ مِنْ بلادِ الإسلامِ إلى غزوِ أعدائِهِ، وجمعِ كلمتِهِمْ في رفعِ كلمتِهِ العُليا في أرضِهِ، على استنزالِ

(١) «صبح الأعمش»: ١٣/١٤٤-١٤٨، وهو جزء من مرسوم أصدره صلاحُ الدِّينِ لأخيه العادل.

(٢) (٣) المرجع السابق.

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

نصره من سمائه، فمَن ساعدنا على أداءِ هذه الفريضة، واقتناءِ هذه الفضيلةِ يحظى من عوارفنا الجزيلةِ بحُسنِ الصنعةِ ونجحِ الوسيلةِ، ومَن أخلدَ إلى الأرضِ وأتبعَ هواه وأعرضَ عن دينه بالإقبالِ على باطلِ دنياه؛ فإنَّ تابَ ورجعَ قبلناه، وإنَّ أصرَّ على غوايته أزلنا يده وعزلناه»<sup>(١)</sup>.

### – ثامناً: التركيزُ على وحدةِ المنهاجِ:

حيثُ يقولُ رَجَمَهُ اللهُ - في مرسومٍ يجمعُ فيه شملَ المنهاجِ ومراعاةَ أبعادِ الخللِ من وراءِ الخلافاتِ -: «لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا»<sup>(٢)</sup>. خرجَ أمرنا إلى كلِّ قائمٍ في صفٍّ أو قاعدٍ في أمامٍ أو خلفٍ؛ ألا يتكلَّمُ في الحرفِ بصوتٍ، ولا في الصوتِ بحرفٍ، ومَن تكلمَ بعدها كان الجديرَ بالتكليمِ، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، ونسألُ النوابَ القبضَ على مخالفِ هذا الخطابِ وبسطِ العذابِ، ولا يسمعُ لمتفقهِ في ذلكِ تحريراً جوابٍ، ولا يقبلُ على هذا الذنبِ متاباً، ومَن رجعَ إلى هذا الإيرادِ بعدَ الإعلانِ - وليس الخبرُ كالعيانِ - رجعَ أخسرَ من صفةِ أبي غبشان، وليعلنُ بقراءةِ هذا الأمرِ على المنابرِ، وليعلمَ به الحاضرُ والبادي؛ ليستوي فيه البادي والحاضرُ، واللهُ يقولُ الحقُّ وهو يهدي السبيلَ»<sup>(٤)</sup>.

(٣) سورة النور، الآية: ٦٣.

(١) «مفرج الكروب»: ١٦٣/٢ - ١٦٤.

(٤) «حسن المحاضرة»: ١٩/٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦٠.

## الخاتمة

استطاع صلاح الدين أن ينهض بالأمّة من خلال إحياء وتثبيت العقيدة السنيّة، بواسطة الإجراءات التربويّة التي قام بها على كافّة الأصعدة، والتي حقّق من خلالها ما كان يسعى إليه، ألا وهو تطهير «الديار المصريّة» من (الشيعة الفاطميّة الإسماعيليّة) الذين نشروا مذهبهم وبدعهم بأسلوب الترهيب والاضطهاد، كما فعلوا برجل ضرب وطيف به القاهرة عام (٣٨١هـ)؛ لأنه وجدّ عنده «موطأ» الإمام مالك، وكما ألزموا الناس بكتابة سب الصحابة - رضي الله عنهم - على جدران دورهم<sup>(١)</sup>، وقد أعان صلاح الدين في مسعاه أن الفكر الشيعي عمومًا لم يكن راسخ القدم في البلاد المصريّة؛ إذ كان دخليًا غريبًا عن أنماط حياتهم الفكرية والاجتماعية والسياسية.

هذا؛ وقد تمثّلت الجهود التربويّة التي قام بها صلاح الدين - والتي أفرزت تغييرات جذريّة رقت بالأمّة إلى الرّفعة والعزّة - في الخطوات التالية:

- ١ - أصل صلاح الدين العودة إلى الأصول المُستمدّة من الكتاب والسنّة.
- ٢ - حافظ على هذه الأصول وذلك بالقضاء على البدع والمخالفات الشرعيّة.
- ٣ - قام بصيانة المناهج، وعمل على توحيدها.
- ٤ - نشر مبدأ تكافؤ الفرص التعليميّة.

(١) «الخطط المقرزية المواعظ والاعتبار»: ٣٤١ / ٢.

- ٥ - ربطَ الأُمَّةَ بواقعِها من خلالِ التَّربيةِ الجهاديَّةِ العمليَّةِ.
- ٦ - اعتمدَ مبدأَ التَّوازنِ والشُّموليَّةِ سِمَةً بارزةً في جهودهِ ومساعيهِ.
- ٧ - اهتمَّ بالمؤسَّساتِ التَّربويَّةِ عامَّةً من مساجدَ وكتاتبَ ومدارسَ وغيرها.
- ٨ - وفَّرَ التَّمويلَ للمؤسَّساتِ التَّربويَّةِ، وحافظَ عليها، وعملَ على بقائِها، حيثُ اعتنى بالمُدْرَسينَ والطُّلابِ، وأمَّنَ الأرزاقَ لهم على حدِّ سواءٍ، وبذلكَ ضمنَ ديمومةَ المؤسَّساتِ التَّربويَّةِ.

ومن خلالِ هذه الخطواتِ ارتقى صلاحُ الدِّينِ بجهودهِ نحوَ بناءِ نظريَّةٍ للتَّغييرِ والإصلاحِ الاجتماعيِّ، تتمثَّلُ بتبنيِّ الحاكمِ المسلمِ التَّربيَّةَ وسيلةً للتَّغييرِ، فمجموعَةُ الإجراءاتِ التي قامَ بها لبناءِ الأُمَّةِ قد قُطِفَ ثمارُها باسترجاعِ (بيتِ المقدسِ) من أيدي الصَّليبيينَ، وتحريرِ (الدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ) من نيرِ الاحتلالِ الشَّيعيِّ الفاطميِّ، وهذا ما يدفعنا إلى ربطِ واقعِ العصرِ الذي ظهرَ فيه صلاحُ الدِّينِ بواقعِنا المعاصرِ، والخروجِ بالتوصيَّاتِ اللازمةِ لذلكِ؛ وذلكَ لأنَّ الأُمَّةَ تعيشُ اليومَ الصَّعابَ والتَّحدِّياتِ من قِبَلِ أعداءِ الإسلامِ على كافَّةِ المستوياتِ السِّياسيةِ والاجتماعيةِ والفكريةِ وغيرها.

فحالُ واقعِنا (السِّياسيِّ) المعاصرِ أفرزَ بلادًا ممزقةً ضعيفةً تدفعُ ضريبةَ الدُّلِّ والضعفِ والانقيادِ للكافرِ، وأدَّى إلى وقوعِ أجزاءٍ منها تحتَ نيرِ احتلالِ اليهودِ والنَّصارى والوثنيينَ من هنودٍ وغيرهم، وهذا بعينه هو حالُ الأُمَّةِ في العصرِ الذي ظهرَ فيه صلاحُ الدِّينِ.

وأما واقعُ الأُمَّةِ الحالي على مستوى (الحياةِ الاجتماعيَّةِ)؛ فيُرى له من كثرةِ



أثرُ جهودِ صلاحِ الدينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

الفجورِ والانحلالِ، وكثرةِ الأعيادِ البدعيَّةِ المزعومةِ والاحتفالاتِ الماجنةِ، وما يحدثُ فيها من مخالفاتِ شرعيَّةِ، مع انتشارِ الطَّبقيَّةِ الظَّالمةِ بين أبناءِ المجتمعِ، وكان هذا هو أيضًا حالُ الأُمَّةِ نفسه في عصرِ صلاحِ الدينِ.

وأما حالُ الأُمَّةِ على (المستوى الفكريِّ) في واقعنا المعاصرِ؛ فغزوُّ فكريِّ للمؤسَّساتِ والمناهجِ التَّربويَّةِ، مع إهمالِ مُتعمِّدٍ للمُدَّرِّسينَ والطلَّابِ على حدِّ سواءٍ، وهذا هو الحالُ نفسه في عصرِ صلاحِ الدينِ.

إذنْ قد كانَ اليومُ شبيهاً بالبارحةِ من حيثِ الأوضاعِ عامَّةً، لذا أخرجُ بهذه التَّوصياتِ مستقاةً من جهودِ الإمامِ العادلِ المُجاهدِ صلاحِ الدينِ الأيوبيِّ، وهي:

١ - دعوةُ الحُكَّامِ والشُّعوبِ على حدِّ سواءٍ لتطبيقِ الإسلامِ عقيدةً وشرعيَّةً ونظامَ حياةً.

٢ - التزامُ التَّربيَّةِ في إطارها الإسلاميِّ أداةً لتغييرِ الواقعِ المظلمِ.

٣ - إلزامُ علماءِ الأُمَّةِ - في كافَّةِ التَّخصَّصاتِ - بوضعِ التَّرتيباتِ اللازمةِ؛ لإحداثِ التطويرِ الشاملِ للمناهجِ التَّعليميَّةِ والتَّربويَّةِ.

٤ - العملُ على إحياءِ فريضةِ طَلَبِ العلمِ بأنواعه الشَّرعيَّةِ والدينيَّةِ المباحةِ، وفرضها على الأُمَّةِ من خلالِ إلزاميَّةِ التَّعليمِ.

٥ - اعتمادُ تكافؤِ الفُرصِ التَّعليميَّةِ، وفرضُ القوانينِ اللازمةِ لذلكِ.

٦ - اعتمادُ التَّعليمِ المُستمرِّ شعارًا لهذهِ الأُمَّةِ.

٧ - تربيَةُ الأُمَّةِ تربيَّةً جهاديَّةً وتعبئتها على ذلكِ؛ لحفظِ الدِّينِ والعرضِ والهويَّةِ

أثرُ جهودِ صلاحِ الدِّينِ الأيوبيِّ التَّربويِّ في الحفاظِ على عقيدةِ أهلِ السُّنَّةِ في مِصرَ والقضاءِ على الدولةِ الفاطميَّةِ

والأوطانِ والمقدِّراتِ، وحفظِ هَيْبَةِ الأُمَّةِ، وتحريرِ الأوطانِ والمقدِّساتِ الإسلاميَّةِ المحتلَّةِ، وإحياءِ مفهومِ (الأمنِ الجماعيِّ) للأُمَّةِ الإسلاميَّةِ شُعباً وأوطاناً.

٨ - السَّعيُّ للقضاءِ على الجهلِ والأُمِّيَّةِ بكافَّةِ صُورها.

٩ - إحياءُ دورِ المسجدِ، والعودةُ به لما كان عليه في صدرِ الإسلامِ وأزمانِ العزَّةِ.

١٠ - الاهتمامُ بالبحثِ العلميِّ وتشجيعُه ونشرُه ودعمُه.

١١ - نشرُ المكتباتِ العلميَّةِ وإحياءُ دورها في بناءِ المجتمعاتِ.

١٢ - تكريمُ العلماءِ وصرفُ المكافآتِ اللازمَةِ لهم.

**وبذا ظهرَ من خلالِ هذا البحثِ والنتائجِ والتوصياتِ:**

- أنَّ (صلاحَ الدِّينِ) شخصيَّةٌ متميِّزةٌ؛ اجتهدَ لإحياءِ أُمَّةٍ عاشتْ ذليلاً تحتَ

تبعيَّةِ الظلمِ والاستبدادِ على كافَّةِ المستوياتِ، وبعثها من جديدٍ تنعمُ بصفاءِ العقيدةِ، وترفُّلٍ في ثوبِ العزَّةِ والمنعةِ والحرِّيَّةِ.

- وأنه بوصفه الحاكِمُ المسلمُ والإنسانُ المعرَّضُ للخطأِ والصوابِ؛ قد أصابَ

كثيراً ووفَّقَ فيما عرضَ له من مهامٍّ وتحدياتٍ ومحنٍ واختباراتٍ.

- وأنه قد صاغَ نظريَّةً عمليَّةً استطاعَ أن يُغيِّرَ بها واقعَ المجتمعِ المسلمِ - الذي كان

يعيشُه - من خلالِ التربيَّةِ التي عرفَ قدرها وأهميَّتها وركَّزَ عليها.

وفي الختامِ أسألُ اللهَ تعالى القبولَ والتَّوفيقَ والسَّدادَ في الأمرِ كُلِّهِ، وآخرُ دعوانا

أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمينَّ.

\*\*\*